عبد اللطيف بن هاجس الغامدي

إلى متى الخصام





الطبعة الأولى



إلى متى الخصام؟!

عبداللطيف بن هاجس الغامدي

ح دار الحضارة للنشر و التوزيع، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الغامدي، عبداللطيف بن هاجس بن مسفر آل هاجس
إلى متى الخصام./ عبداللطيف بن هاجس بن مسفر آل هاجس -
ط ١ - الرياض ١٤٤٣هـ
ص ٢٤٤؛ ١٤×٢٠سم
ردمك: ٤-٧٧-٨٣٤٤-٦٠٣-٩٧٨
١-الإسلام والمجتمع ٢-المشاكل الاجتماعية ٣-التسامح أ-العنوان
ديوي ٢١٩ ١٤٤٣/٥٤٧٧

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٥٤٧٧
ردمك: ٤-٧٧-٨٣٤٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

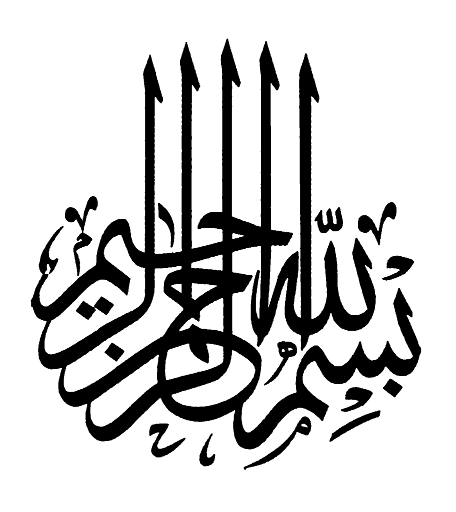


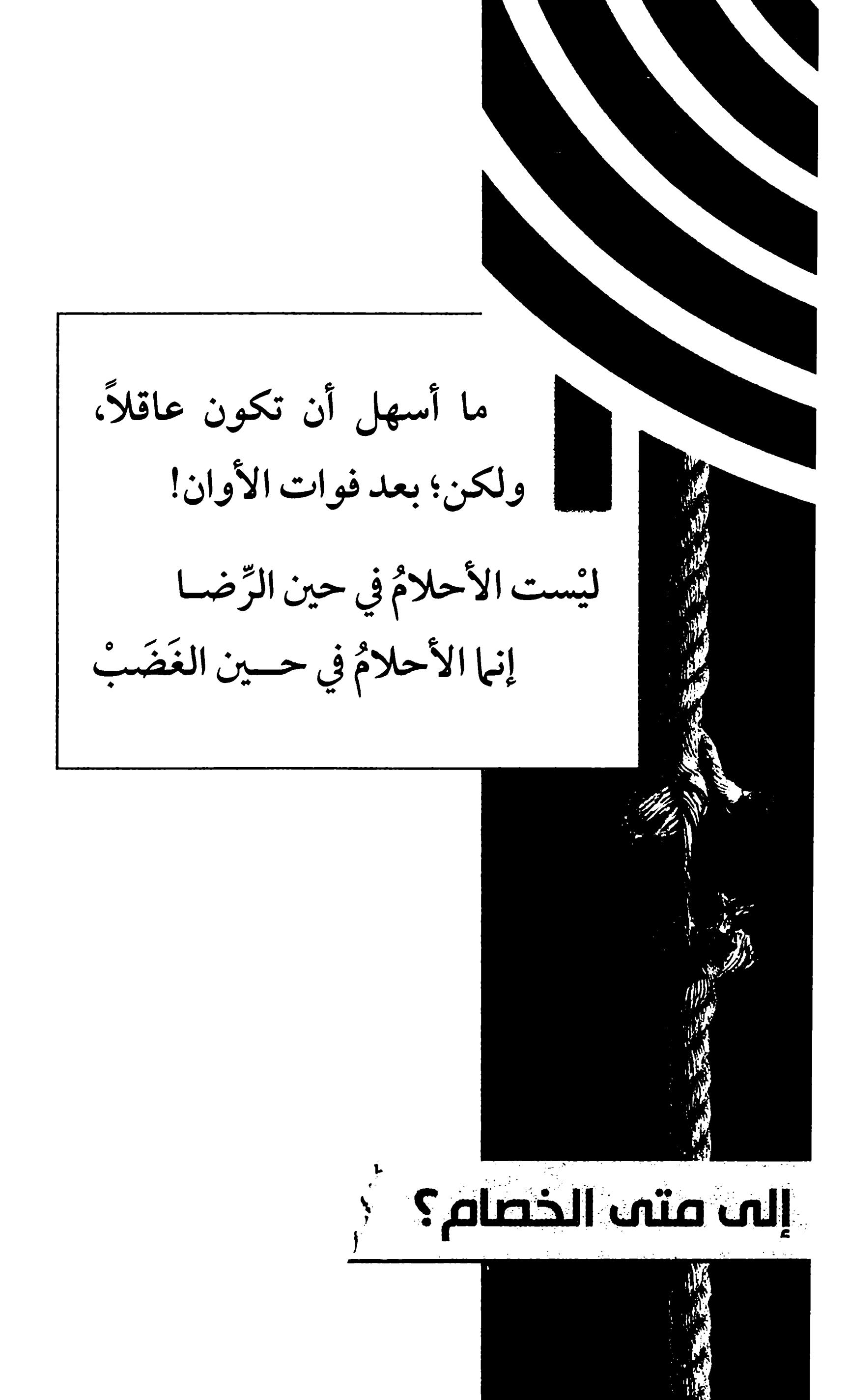
المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد: 920000908 الفاكس: 2702719 - 011
0551523173 @daralhadarah
زوروا متجر الحضارة
daralhadarah.net





Mustafa-h123 @hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم


ما أسهل أن تكون عاقلاً،
ولكن؛ بعد فوات الأوان!
ليْست الأحلامُ في حين الرِّضـا
إنما الأحلامُ في حــين الغَضَبْ
إلى متى الخصام؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بكلِّ المحامد على كلِّ النعم، والصلاة والسلام على سيِّد ولد آدم، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فلو كان لي من الأمر شيء لجعلت ثقافة الخلاف وفن إدارة الصراع جرعة غذائية يرتضعها الوليد مع حليبه قبل الفصال، أو حقنة طبية تُسكب في وريده حين يستهلُّ من بطن أُمِّه صارخًا، لأن الخلاف سيكون ملازمًا له من أوَّل يوم يرى فيه الدنيا إلى آخر يوم سيراها فيه، فالاختلاف بين الناس سُنَّة كونية قدَّرها ربُّ البريَّة، فحين أراد الله ـ جلَّ جلاله ـ أن يخلق آدم ـ عليه السلام ـ ويسكنه الأرض، أنزل جبريل ـ عليه السلام ـ إليها، فأخذ من طينتها المختلفة في ألوانها وطبيعتها وتكوينها ومنافعها وأشكالها، ومن هذا الخليط المتمازج صنع الله ـ سبحانه ـ آدم ـ عليه السلام ـ فاختلف الناس في طباعهم وأطماعهم لاختلاف طبيعتهم التي خُلقوا منها ونتجوا عنها.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن خلق آدم قبضة قَبضَها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قَدرِ الأرض، فجاء, منهم الأحمرُ، والأبيضُ، والأسود، وبين ذلك، والسَّهلُ، والحزن، والخبيث، والطيِّب**»[1].

وليست المعضلة في الاختلاف، كما أن المشكلة ليست في التباين بين الناس في آرائهم وأخلاقهم وسلوكهم، فهذا ـ كما هو المفروض وليس كما هو الواقع المرفوض ـ اختلاف تنوُّع، يدلُّ على قدرة الله العظيمة على خلق المتضادات وصنع المتباينات، فذلك من دلائل قدرته البالغة وحجته الغالبة، ولكن الذي يفري الكبد ويفتُّ القلب أن الاختلاف أوقع بين الناس التفرُّق والتَّمزُّق، وغدوا شيعًا عزين كُلُّ حزب بما لديهم فرحون، وآل بهم الحال إلى الصراع على الأشياء والنزاع على مواقفهم المتباينة منها، وأصبحوا شركاء متشاكسون وخصماء متصارعون، فكان لزامًا على كُلِّ عاقل أن يناضل دون الحقِّ الذي يجب أن يكون ولا يرضى بما في الواقع مما هو كائن!

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٨٧) (٣٩٢٦)، وصحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠) (٢٣٥٥).

ولئن وجدنا مُسوِّغًا للصراع بين أصحاب الملل المختلفة والنِّحل المتباينة، فأين نجد مبررًا للنزاع بين أصحاب الملَّة الواحدة والنحلة المشتركة؟!

ولئن وجدنا أسباب الصراع مقنعة بين ذوي الملة الواحدة، فما سبب الصراع بين أهل الإسلام ومِلَّة التوحيد، وديننا يأمرنا بالوحدة وينهانا عن الفرقة، ويربينا على الحبِّ، ويقصينا عن البغض والحقد؟

ولئن غضضنا الطرف عن مشاهد العنف وصور الصدام بين بعض أُمَّة الإسلام، فماذا نقول لمن أهلكتهم الصراعات وأفنتهم النزاعات وهم من بيت واحد، وقرابة مشتركة، وذوي رحم واحدة؟

كُلُّ تلك التساؤلات تصبح مثل عدمها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء أمام حقيقة التقدير الإلهي الذي فيه من الأحكام والحكم ما لا يحصى أو يستقصى، فقد قضى الله ـ تعالى ـ وهو الحكيم العليم الحليم أن يجعل بعضنا لبعض فتنة، ليميز الخبيث من الطيِّب، وينظر كيف تعملون!

قال الله ـ تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال ـ تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وكم وقعت في دهشة بلغت بي حدَّ الرعشة وأنا أتأمل هذا الحديث الشريف، وأقول: سبحان ربي، إن كان وعد ربي لمفعولاً!

فعن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية، دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «**سألت ربى ثلاثًا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة؛ سألت ربى أن لا يهلك أمَّتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمَّتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**»[(١)].

ومن هذا المنع كان الابتلاء والتمحيص، فمن أنت فيهم؟!

(١) صحيح مسلم (٨/ ١٧١) (٧٤٤٢).

هل أنت ممن هداهم مولاهم فيختلفون بحق ولإثبات حقّ، أو ممن أرداهم مسعاهم فيناضلون بباطل ولإثبات ظلم؟

ذلك هو أصل المعضلة وأساس المشكلة! من أنت؟ وفي أيِّ ميدان تكون؟

الواقع يشهد في كثير من المواقع بأننا في حاجة مُلحَّة إلى وقفة محاسبة؛ لا أقول لغيرنا فذلك مما نُحسنه جميعًا ـ ولكن لمحاسبة أنفسنا، وذلك مما تعجز عنه الهمم وتقصر دونه العزائم إلا لمن أراد الله بهم خيرًا، فأبصروا الحقيقة وهم ينظرون، فأفاءوا إلى الحق، ورجعوا للصواب، واستمسكوا بالصدق، وأنصفوا الناس من أنفسهم وكانوا عليها شهداء، وكانوا يُصلحون في الأرض ولا يُفسدون!

أما أصحاب الغيِّ فهم في ضلالهم يترددون، لأن أعينهم عليها غشاوة الهوى، وفي آذانهم وقرُ الصدود، وعلى قلوبهم ران التكبُّر، فهم صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ عن الحقِّ فهم لا يبصرون، قد انكفأوا على ذواتهم، وتمحوروا حول أنفسهم، فلا يعيشون إلا لمصالحهم، ولا يرون إلا صورهم، ولا يسمعون

إلا أصواتهم، ولا ينقادون للحقِّ إلا إذا كان يُسكب في آنيتهم ويُجمع في إهابهم، وفي طريق الحبِّ المطبق للذات تغيب الحقيقة وتضيع الحقوق.

وهنا يأتي السؤال الهام: إلى متى الخصام؟

- إلى متى يظل نزيف العواطف وفتور العلاقات؟
- إلى متى نستمر في طعن الخواصر بالخناجر؟
- إلى متى نواصل في التدابر والتهاجر، والتقابح والتفاضح؟
- إلى متى يخسر بعضنا بعضًا دون وقفة مراقبة ومحاسبة ومعاتبة؟
- إلى متى تنخر المشكلات في أُلفتنا وتشقُّ صفّنا وتذهب بوحدتنا؟
- إلى متى نظل صرعى للشيطان وأعوانه يقودوننا للتلف ويسوقوننا للعطب؟
- إلى متى الخصام؟

هذا هو السؤال ـ قبل يوم الحساب! ـ وإليكم الجواب:



أليس فيهم رجلٌ رشيد؟!

إن المتابع للخصومات في مجملها والأسرية في خاصَّتها يجد أن غالبها تقع بسبب توافه الأمور، ومحقِّرات الأحداث، وسفاسف الأشياء، وسخافات التَّصرفات.

الشـر يبـدؤه في الأصـل أصـغره
وليس يصلى بجلِّ الحرب جانيها[1]

والحربُ يلحق فيها الكارهُونَ كما
تدنو الصِّحَاحُ إلى الجُرْبَى فتُعْدِيهَا[2]

فالشر يبدؤه صغاره[3]، واليسير يجني الكثير[4]، ومن كلام العرب يقولون: الحرب أولها كلام، ويقال: صغارها شرارها[5]، والشيء تحقره وقد ينمى[6]، والحرب أول ما

---

(١) المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (١/ ٣٢٧).
(٢) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري (١/ ٣٦٤).
(٣) التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي (١/ ٧٠).
(٤) أنساب الأشراف للبلاذري (٤/ ٢٢٠) من قول أكثم.
(٥) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (٢/ ٣٣٨).
(٦) كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (١/ ٢٥٨).

تكون فتيةٌ، فكم مطر بدؤه مطير[1]!

ولقد رأيت الشر بين الحي يبـدؤه صغـاره

ولو أنهم يأسونه... لتنهنهت عنهم كباره[2]

وتعتبر التوافه الحقيرة بمنزلة فتى إبليس المدلَّل، فهو يربِّيها على عينه ويرابيها تحت نظره ويوليها رعايته ويصرف لها عنايته، لأنها الحَرَبَةُ الصغيرة التي تُشعِل فتيل الحربِ الكبيرة، وإنما يكمن الشيطان - كما قيل - في التفاصيل، بمعنى أنه يُنشِب في طرف سِنَّارة صيده طُعمًا حقيرًا ليصطاد به من ألقمته فمها وطمعت أن يكون مغنمها، فدارت عليها دوائر الموت، لأنها انساقت مع خطوات عدوها دون تفكير أو تقدير، فوقعت في ضمَّة المنايا وقبضة المصير!

وكثيرًا ما رأيت من يتخاصمون على توافه الدنايا ومحقرات القضايا، وعليها يعقدون الولاء لمن ناصرهم والبراء ممن عارضهم أو فاوضهم، وكأنما هي قضية حياة

---

(١) شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي الأصفهاني (١/ ٧٥).

(٢) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (٢/ ٣٣٨) من قول مسكين الدارمي.

أو موت، أو مقاتلة بين جيشين متقابلين، ومفاصلة بين فسطاطين متضادّين، وإذا رأيت ثمَّ رأيت أمرًا حقيرًا وشأنًا يسيرًا ومشكلة تافهة وقضية تُطوى ولا تُروى، فليست ـ في ديوان العقلاء أو ميدان الشرفاء ـ شيئًا مذكورًا.

إن من الناس من تستخفه التفاهة وتستفزُّه السخافة، فيستحمق على عجل ويرمي في مقتل، ويحترق كالهشيم حينما تلامسه النار فيرمي بالشرر، وينتفخ كالبالون يصَّعَّد في السماء لخِفَّة وزنه وقِلَّة ما يحوي من أثر، ومنهم من صدره متسع كعمق البحر وعقله ثابت كرسو الجبال، وفكره راقٍ كسمو التلال، ونفسه رفيعة كعلو النجوم فوق الغيوم، يتعامى عن الخطايا، ويتسامى فوق الدنايا، وكُلٌّ يعمل على شاكلته، ومما في نفسه ينضح، وعن معدنه يُفصح.

وما المـــرء إلا حـيث يجعـــل نفســه
ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل[1]

مَرَّ أحد الصالحين بقوم سوءٍ، فقالوا له شرًّا، فقال خيرًا؛

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٨٤).

فقيل له: إنّهم يقولون شرًّا وتقول لهم خيرًا؟ فقال: كلّ واحد يُنفق مما عنده[1].

إن من عادة المشكلات أن تبدأ صغيرة وتنشأ حقيرة، فتنمو مع الأيام حتى تغدو ساحقة ماحقة تأكل الأخضر واليابس، وتلتهم القائم فيها والجالس، فإنها - كشرارة السوء - تعدو قدرها ولا تقف عند حدها إذا لم يتداركها العقلاء بحلمهم والفضلاء بعلمهم، فهي تتطور من خلافات بين البعض في الصغائر لتجر الجميع إلى نزاعات في الكبائر، ومن الخطأ العابر إلى الجرم السافر، ومن الزلَّة الحقيرة إلى الجريمة الخطيرة، فكم من مشكلة صغيرة قادت لمعضلة كبيرة، وإنما النار من مستصغر الشرر.

شط وصل الذي تريدين مني
وصغير الأمور يجني الكبيرا[2]

وكم من جرائم قتل وسفك دم حرام كان سببها كلمة عابرة أو غمزة فاترة أو لمسة فاجرة أو لمزة ساخرة، فصارت بها الديار بلاقع والحياة فواجع!

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٧٨) بتصرف.
(٢) الأمثال لابن سلام (١/ ٢٧) من قول عدي بن زيد.

قد يبعث الأمر الكبير صغيره
حتى تظل له الدماء تصبب[1]

وتتفاوت درجات الناس في الثبات أمام المثيرات، ومن المحقرات تنتج الموبقات، والحرص عليها من الفضائح، وهي نتاج سقوط الهمة وفتور العزيمة وضعف النفس وقلّة العقل ورقّة الدين، فسقوط الهمة تنتج الميل إلى المحقرات، ودناءة النفس تهوي بصاحبها في درك الأوحال وحضيض الأحوال، ومن أهان نفسه فلا يلومنَّ ناسه، فمن بين جوانبه بدأت الهزيمة الأليمة!

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقّهــا
هوانا بها كانت على النّاس أهونا[2]

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اللهَّ كريمٌ يحبُّ الكُرماءَ، جوادٌ يحبُّ الجودَةَ، يحبُّ معاليَ الأخلاقِ، ويكرهُ سفسافَها»**[3].

---

(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (٢/ ٣٣٨) من قول طرفة بن العبد.
(٢) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (٣٠٨).
(٣)رواه ابن عساكر والضياء في المختارة، انظر: صحيح الجامع (١/ ٣٧٠) (١٨٠٠).

أيُّ الاثنين أنت؟!

إنك لا تعدو في خصومتك أن تكون واحدًا من اثنين؛ فإمَّا ظالمًا أو مظلومًا؟! صاحب حقٍّ أو طالب باطل؟! تخاصم من أجل حقِّك المنهوب ومالك المسلوب وعرضك المنكوب أو أنك تخاصم للاستيلاء على حقِّ غيرك وتناضل في الاعتداء على ما ليس لك؟!

وليست المصيبة في أن تكون مظلومًا، فإنه خيرٌ لك من أن تكون ظالمًا، فأطع الله فيمن عصاه فيك، وأر الله ما يحب أن يراه منك من العفو والصفح ليريك ما تحب من الأجر والثواب في يوم الجزاء والحساب، فيكون لك القدح المعلَّى واليد العليا والمقام الأسمى، وتلك منازل الأخيار ومدارج الأبرار ومسالك الأطهار.

شتم رجلٌ عمر بن ذر، فقال له: يا هذا! لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعًا، فإني أمت مشاتمة الرجال صغيرًا ولن أحييها كبيرًا، وإني لا أكافئ من عصى اللهّ فيَّ بأكثر من أن أطيع الله فيه[1].

---

(١) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (٢/ ٧٦) سير أعلام النبلاء

وإن كنت آثمًا ظالمًا، فالرجوع إلى الحقِّ خيرٌ لك من التمادي في الباطل، ولأن يضيع عليك قنطار من الحقِّ خيرٌ لك من أن تدرك قطميرًا من الباطل، فقليل الظلم كثير الإثم في يوم القيامة!

قال الله ـ تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

أسمع رجلٌ عمر بن عبدالعَزيز بعضَ ما يَكْره، فقال: لا عليك، إنّما أردتَ أن يَسْتفزَّني الشيطانُ بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تنالُه مني غدًا، انصرفْ إذا شئت[١].

واغتاظت عائشة رضي الله عنها على خادم لها ثم رجعت إلى نفسها،

للذهبي (٦/ ٣٨٨) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ١٢٠) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٧٨) نثر الدر للآبي (١/ ٣٠٤).
(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٧٩).

فقالت: لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء![1]

وإنما يقدِّم الإنسان لنفسه ما سوف يراه يوم أن يلقى الله، وسيجني عاقبة أمره وما قدَّمته يداه!

قال رجل لأبي بكر رضي الله عنه: واللهّ! لأَسُبَّنك سبًّا يَدْخل القبرَ معك؟ قال: معك يَدْخل لا مَعي[2].

وذلك لأن الغالب في الشرِّ مغلوب، والمنتصر فيه مهزوم، والآخذ فيه مأخوذ منه غدًا، فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل، وإنما توعدون لآتٍ، وما أنتم بمعجزين!

قال أعرابي لابنه: لا يَسُرّك أن تَغلب بالشرّ، فإن الغالب بالشرّ هو المغلوب[3].

ولا يعدو خصيمك أن يكون واحدًا من ثلاثة؛ فالأوّل في مقام خير منك سِنًّا أو فضلاً أو علمًا أو منزلة أو قرابة أو

---

(١) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٣١٠).
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٧٨).
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ٤٣٤) جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت (٣/ ٢٥١) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (٢/ ٧٦) ونسب القول لابن عبدالبر.

غير ذلك، وإمَّا أن يكون مساويًا لك وأنتما كفرسي رهان في مرتبة واحدة، وإمَّا أن تكون في مقام خيرٍ مِنه وقد رفعك الله عليه، فالأوَّل هبه لفضله وتنازل عنه لمكانته، وتجاوز عنه لكرامته، وأما الموازي لك في مرتبتك فلا تساويه بل كن خيرًا منه، واجعل سابقة الخير لك عنده، وارتفع عنه مكانًا عليًّا، وأمَّا الثالث؛ فأين إحسانك لمن هو دونك، وأين رأفتك بمن أنت فوقه؟

قال سعيد بن العاص: ما شاتمت رجلاً مذ كنت رجلاً لأني لا أشاتم إلا أحد رجلين: إما كريم فأنا أحق من احتمله، وإما لئيم فأنا أولى من رفع نفسه عنه[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما بلغني من أحد مكروه إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل، إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي فمن رغب عنها فأرض الله واسعة[2].

---

(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ١٣٩) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (١/ ٢٩٧).
(٢) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (٢/ ٧٥) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٥/ ٣٥١).

سأُلزِم نَفسي الصَفحَ عن كل مُذْنبٍ
وإن كَـثُرت منـــه إليَّ الجـرائـــمُ

وما النــاسُ إلا واحـــدٌ من ثلاثـــة
شـــريفٌ ومشـروفٌ ومثلٌ مُقــاوم

فأمّا الـذي فَوقـي فأَعْـرِف فضــلَه
وأَتبــع فــيه الحــقَّ والـحقُّ قائـــم

وأمّا الـــذي دونـي فإن قــال صُنت
عن إجابتـه نَفْــسي وإن لامَ لائِـــم

وأمّا الذيـن مِثْلي فـإنْ زلَّ أو هَفَـــا
تفضلت إنّ الفَضـــل للحُــــرّ لازم[1]

وقال الأحنف: ما نازعني أحد قط إلا أخذتُ أمري بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفتُ قدرَه، وإن كان دُوني أكرمتُ نفسي عنه، وإن كانَ مثلي تفَضَّلت عليه.

ولقد أَحْسن الذي أخذ هذا المعنى فَنَظَمه فقال:

(١) المنهج المسلوك في سياسة الملوك للشيزري (١/ ٣٤٠) سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (١/ ٦٧) لمحمود الوراق.

إذا كان دُوني مَنْ بُليت بجَهْله
أَبَيْتُ لِنَفْسي أن تُقَارع بالجَهْلْ

وإن كان مثلي ثم جاء بِزَلَّة
هَوِيتُ لصَفْحي أن يُضاف إلى العَدْل

وان كنت أدنى منه قدرًا ومَنْصِبًا
عَرفت له حَقَّ التقدم والفضل[1]

أبعد هذا تجد لك عذرًا في ترك الإفضال؟ اذهب - هداك مولاك - فإنه لا عذر لك!



(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٨١).

هل وقيت عرضك؟

ولو لم يكن في ترك الخصومة إلا أنك وقيت عرضك من قدح القادحين وجرح الحاقدين، وأشغلتهم بالأنياب الطاحنة في أفواههم، عن الأنياب الوالغة في عرضك لكفى بها محمدة، فقد كفيت الخلق فتنة الطعن فيك والعيب لك، فإن الناس - في الغالب - يميلون إلى المدح لأنفسهم والقدح في غيرهم، ويقدِّمون سوء الظنِّ على حسنه، ويعاتبون غيرهم على الظنون ويتركون عتاب أنفسهم على اليقين، وتلك صدقة منك على نفسك بصيانتها مما قد يشينها بحقٍّ أو بباطل، وصدقة منك عليهم فقد كفيتهم شرَّ أنفسهم وسددت الطريق على شياطينهم فلا تخلص إلى الطعن فيك والعيب لك كما كان يمكن أن تخلص إليه لو استمرت خصومتك، فلا مُسوِّغ لهم عليه لأنك ألقمتهم الحجر، ودسست في أفواههم جلاميد الصَّخر، وذبحت تجريحهم في مهده ودفنته في لحده، فلا ينبسون ببنت شفة، وشفيت واشتفيت!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ذبوا بأموالكم عن أعراضكم**»، قالوا: يا رسول الله! كيف نذب بأموالنا عن أعراضنا؟ قال: «**يعطى الشاعر ومن تخافون من لسانه**»[1].

وأعطى الحسن بن علي رضي الله عنهما شاعرًا، فقيل له: لم تعطي من يقول البهتان ويعصي الرحمن؟ فقال: إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به من عرضك، ومن ابتغى الخير اتَّقى الشر[2].

وعن إسماعيل بن يسار، قال: لقي الفرزدق حسينا رضي الله عنه بالصفاح، فأمر له الحسين بأربعمائة دينار. فقيل: يا أبا عبدالله! أعطيت شاعرًا مبتهرًا أربعمائة دينار! فقال: إن من خير مالك ما وقيت به عرضك[3].

---

(١) رواه السهمي في «تاريخ جرجان» والديلمي، انظر: السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٤٥) (١٤٦١).

(٢) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (٢/ ٧٦) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق الحصري القيرواني (١/ ٦٧).

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١/ ١٣٠).

وعن يونس بن حبيب، قال: مدح شاعر الحسن بن علي ﵄ فأعطاه عشرة آلاف درهم، فقيل: أتعطيه عشرة آلاف درهم؟ قال: إن خير المال ما وقى العرض، واكتسب به حسن الأحدوثة[1].

أصون عرضي بمالي لا أُدنِّسه
لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال إن أودى فأجمعه
ولست للعرض إن أودى بمحتال![2]

وكان إبراهيم النَّخعيّ في طَريق فلَقِيه سليمان الأعْمَش فانصرف معه وأراد أن يماشيه، فقال له: يا إبراهيم، إنّ الناسَ إذا رأَوْنا قالوا: أعمش وأعور! قال: وما عَليك أن يَأْثموا ونؤجر؟ قال: وما عليك أن يَسْلَموا ونَسْلم[3].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٣٨٢).

(٢) سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (١/ ٧٧) من شعر حسان بن ثابت.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ٣٩٠) البيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ (١/ ٢٥١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٦٦) حياة الحيوان الكبرى للكمال الدميري (١/ ٤١٢)

بهذه القلوب السليمة تنشأ العلاقات المستقيمة، فلا تناحر أو تهاجر أو تدابر، وإنما تناصر وتآزر وتغافر، ويكون الشيطان ـ بعون الله ـ هو الخاسر!



لمن تركنا العفو والصفح؟

إذا كان كل واحد منَّا سيأخذ حقَّه ـ كما يزعم ـ من خصمه، فأين الكرم والإحسان؟ ولمن تركنا العفو والصفح والغفران؟ وعلى من نجود بعطفنا، ونولى لطفنا؟

وهل يتجاوز الإنسان إلا عمن أساء إليه ويغفر إلا لمن تعدَّى عليه؟!

فلو لم يكن ذنبٌ ما عُرف عفو، ولو لم يكن خطأ لما وجد صفح، فلا يجازى المحسن بالعفو لأنه لم يجترح خطأ أو يرتكب خطيئة، وإنما يحنو الحاني على الجاني، ويغفر المظلوم للظالم، ويتجاوز المُحق عن المُبطل.

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلاني
ليست مؤاخذة الخلاَّن من شـاني

يجني الصديق فأسـتحلي جنايتـه
حتى أدلَّ على عفـوي وإحسـاني

ويتبـع الذنـب ذنبًا حين يعرفـني
عمـدًا فأُتبـعُ غفـرانًا بغفـرانِ

يجني عليَّ فأحنـو صـافحًا أبـدًا
لا شيء أحسن من حان على جانِ[1]

وما أسهل التَّشدُّق بالمثاليات، والتمادح بالقيم، والتباهي بالمبادئ! فكُلُّ ناطق يطيق الادّعاء لها والانتساب إليها حتى يأتيه منها ما يكره، فيبرز معدنه الأصيل، وتظهر مكامن النَّفس الخفيَّة، وينكشف المخبوء في ثنايا تجاويف الفؤاد، وتبان الحقيقة الدقيقة في أصدق صورها لتُبين لكلِّ ذي عينين عن الطِّباع والأخلاق والتربية، فأما من تزكَّى على مرِّ الدهور وتربَّى على كرِّ العصور، فلا يزيده التعدِّي من الناس عليه إلا طيبًا، فلا يفوح العطر حتى يُسحق، ولا يُضَوَّع العود حتى يُحرق، وأمَّا المدَّعي فلا يلبث قليلاً حتى تنكشف سوءته وتفضح عورته ويبان عواره.

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ١٠٢) من قول أبي فراس بن الحمداني.

دار الصّديق إذا استشاط تغيّظًا

فالغيـظ يُخـرجُ كامن الأحقـادِ

ولربَّما كـانَ التغضـّبُ باحـثًا

لمثالـب الآبــاء والأجــدادِ[1]

(١) الزهرة لابن داود الأصبهاني(١/ ٢١٨)

أليس لصحتك قيمة عندك؟

وهب أنَّك انتصرت على عدوِّك، وفزت في خصومتك، وحزت ما كنت ترجوه من ورائها من مال أو متاع أو حكم أو غير ذلك، ولكن المقابل لهذا الانتصار هو صحَّتك التي ذهبت، وعافيتك التي ولَّت، وهذه الأمراض التي نشبت كشوك السعدان في جسدك، وأصبحت معك كظلك الملازم واسمك الدائم مثل داء السكَّر والضغط وتصلب الشرايين والجلطات والتهاب القولون والصداع المزمن والقرحة المعدية وغيرها من الآفات، فهل تُعدُّ منتصرًا عظيمًا وأنت الخاسر لعافيتك والفاقد لصحَّتك؟ نعم لقد كسبت المال الذي تشتري به العلاج لكنك لا تشتري به العافية، وربحت الخصومة التي تنال من خلالها الانتصار الخارجي ليكون الوفاء من الداخل عبر ما يسري في بدنك ويجري في أوردتك، واسأل من جرَّب الخصومات كيف جرَّب معها العلاجات وأدام حبله المتَّصل بالمستشفيات والمصحَّات العلاجية، وما رأيت عاقلاً أشرف ممن يحافظ على نظافة قلبه من الأحقاد وطهارة صدره من الخصومات، فلا تجعل

قلبك مثل برميل النفايات ومرمى القاذورات، لتعيش في صحة حال وراحة بال.

فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الناس كل مخموم القلب، صدوق اللسان**». قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «**التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غلَّ، ولا حسد**»[1].

رأى إبراهيم بن أدهم قاتل خاله بمكة، فأهدى إليه هدية، فقيل له: تهدى إليه؟! فقال: إنما أردت صلاح قلبي[2].

لمّا عفوت ولم أحقد على أحدٍ
أرحت نفسي من غمّ العداوات[3]

فالأمن في النفس الداخلية نتاج الأمان في العلاقات الخارجية، ومن أكثر من الخصومات والمشكلات فإنما أكثر

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٤١١) (٣٣٩٧).
(٢) الورع - ابن حنبل (١/ ١٨٦).
(٣) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١/ ٤٧٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لأبي الفضل اليحبي (١/ ٢٦٦) الطيوريات لأبي الحسين الطيوري الحنبلي (٣/ ١٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٤/ ٥) لهلال بن العلاء الرقي.

على نفسه من الهموم والغموم، والأرق والقلق، والضيق والاكتئاب، وغيرها من الأمراض النفسية الطاحنة التي تعصف بالحياة الهانئة، وتجعلها ميدانًا من ميادين الصراع وحلبة من حلبات النزاع لا حياة فيها إلا للأقوى، ولا نصر إلا للأشرس، ولا غلبة إلا لمن له بأس شديد!

قد يملكك العجب إذا علمت أن أناسًا يستفيدون من خصوماتك ويغنمون من مطاحناتك، وإنما يشتغلون بك تبعًا لما يجنونه من ورائك من مكاسب من جرَّاء القلق والأرق والحُرَق التي تطحن صِحَّتك وتفني جسمك وتفري بدنك، وتزرع الأسقام في ثنايا أحشائك، فالمستفيد من خصومتك هم الأطباء والمعالجون وبائعو الأدوية وغيرهم من المستثمرين في الخصومات كبعض المحامين الذي تنتهي مصالحهم بانتهاء مشكلاتك وقضاياك، فمصائب قومٍ عند قومٍ فوائد!

فلا تنظر إلى القليل الآيب، وتغفل عن الكثير الذاهب!



هل خلقك الله من أجل هذا؟

هل أوجدك الله في هذا الوجود لتشتغل بالصراعات والخلافات مع الخلق؟ أحسب أن كلَّ عاقل سيقول بملء فيه: بالطبع لم أُخلق لهذا!

فما بالنا نرى بعض الناس لا تكاد تراه إلا مخاصمًا لغيره ومراغمًا لسواه، وكأنما سعادته لا تُبنى إلا على أنقاض سعادة غيره، وسروره لا يتم إلا بشقاء سواه؟

إن الغريب الذي يملك عليك حيرتك عندما ترى بين الورى من لا يرى نجاحه إلا بإخفاق غيره، ومجده لا يكون إلا بسحق من يقف في طريقه ولو كان من أقرب الأقربين!

إنك بإيمانك وتوحيدك وصفاء نفسك ونقاء سريرتك أسمى من هذا الدرك المهين، وأعلى من هذا المستنقع المشين، فلا تضع نفسك بالخصومة في موضع أنت أشرف منه، وكان من اللائق بك أن تترفع عنه وتُحلِّق فوقه!

«دخل عمارة بن حمزة على المنصور فقعد في مجلسه فقام رجل فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين، قال: من ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي، فقال المنصور: قم يا عمارة فاقعد مع خصمك. فقال: ما هو لي بخصم يا أمير المؤمنين. قال: وكيف ذلك؟ قال: إن كانت الضيعة له فلست أُنازعه فيها، وإن كانت لي فهي له، ولا أقوم من مجلس قد شرفني به أمير المؤمنين، ورفعني إليه، وأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة!»[1]

فلله هو! لقد رفع نفسه فوق الخصومة، وتسامى بعفوه عن الملاحاة مع الخصم، وأعزَّ نفسه عن المشاحَّة بحظوظ النفس، وأكرم ذاته على النزول لدرك المنازعة، ورفع قدره عن مساوئ المصارعة، فاستراح وأراح، وسجَّل التاريخ معروفه ودوَّن موقفه، ولو أنَّه فعل كغيره من الدفاع عن نفسه والتبرئة لجنابه ـ كما يحسنه الجميع ـ لما ورد ذكره في الكتب ولما تناولت دواوين الناس عبر التاريخ خبره!

فارقم اسمك في سجلِّ العظماء، ودوِّن أمجادك بين دفات كتب التاريخ، وسطِّر مآثرك في ذاكرة الأجيال، وسجِّل

(١) المستجاد من فعلات الأجواد لأبي علي التنوخي (١/ ٥٥).

حضورك على ألسنة الناس؛ دعاءً وثناءً، فإنما الناس شهودُ الله في خلقه بعد أن تسترضي مولاك بما يُحبُّه منك ويرضيه عنك.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا، فقال النبي ﷺ: **«وجبت»**، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا، فقال: **«وجبت»**، فقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال ﷺ: **«هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»**[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة»**، فقلنا: وثلاثة؟ قال: **«وثلاثة»**، فقلنا: واثنان؟ قال: **«واثنان»**، ثم لم نسأله عن الواحد[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «مرَّ على النبي ﷺ بجنازة، فأثنى عليها خيرًا، وتتابعت الألسن بالخير، فقالوا: كان ـ ما علمنا ـ يحب الله ورسوله، فقال نبي الله ﷺ: **«وجبت، وجبت،**

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ١٢١) (١٣٦٧) صحيح مسلم (٣/ ٥٣) (٢٢٤٣).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ١٢٢) (١٣٦٨).

وجبت»، ومر بجنازة فأثني عليها شرًّا، وتتابعت الألسن لها بالشر، فقالوا: بئس المرء كان في دين الله! فقال نبي الله ﷺ: «وجبت، وجبت، وجبت»، فقال عمر: فدى لك أبي وأمي، مر بجنازة فأثني عليها شرًّا، فقلت: وجبت، وجبت، وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض»**، وفي رواية: **«والمؤمنون شهداء الله في الأرض، إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر»**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون منه إلا خيرا، إلا قال الله ـ تعالى وتبارك: قد قبلت قولكم، أو قال: بشهادتكم، وغفرت له مالا تعلمون»**[2].

---

(١) أحكام الجنائز للألباني (١/ ٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٢) والحاكم، انظر: أحكام الجنائز ـ الألباني (١/ ٤٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت قاعدًا مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر بجنازة، فقال: «**ما هذه الجنازة؟**»، قالوا: جنازة فلان الفلاني، كان يحب الله ورسوله ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وجبت، وجبت، وجبت**»، وبجنازة أخرى، قالوا: جنازة فلان الفلاني، كان يبغض الله ورسوله ويعمل بمعصية الله ويسعى فيها، فقال: «**وجبت، وجبت، وجبت**»، فقالوا: يا رسول الله! قولك في الجنازة والثناء عليها أثني على الأول خير، وعلى الآخر شر، فقلت فيها: «**وجبت، وجبت، وجبت**»؟ فقال: «**نعم يا أبا بكر! إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر**»[1].

فانظر ماذا يُشاهدون منك، وبماذا يشهدون عليك؟!



(١) أخرجه الحاكم والديلمي، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٦٨) (١٦٩٤).

هل يكون بيدك الزمام؟

أرأيت من يُشعل النار تحت قدمه، ويريد أن يجلس عليها من غير أن يشعر بها أو يتلوَّع بلظاها؟ هذا مثلُ من يريد أن يرمي بنفسه في أتون الخصومات مع الناس ثم يريد أن يعيش بينهم دون شعور بالألم أو إحساس بالندم!

إن الغضب نار إبليس الموقدة وجمرته المستعرة، وهو يُلهبُها بكلِّ ما يملكه ليحرق بها كلَّ من يدور في فلكه ويقع في شركه.

فهل رأيت من يخاصم وهو راضي القلب مسرور الضمير؟

وهل أبصرت من يراغم وهو جالسٌ على أريكته وقد وضع رجلاً على رجل وكفًّا بكفٍّ؟

هذا لا يكون فيما تراه العيون! فالغضب هُوَّة سحيقة وحفرة عميقة ابتدعها الشيطان وحفرها بظفره ونابه ليوقع فيها من أسلم له النَّفس في طواعية واختيار، ليسعى بعدها في إيقاعه في حفرة من حُفر النار!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»[1].

فهل يقتل الإنسان غيره في ساعة الصفاء ولحظات الهدوء والاسترخاء؟

وهل يبطش القادر على العاجز إلا حينما يعجز عن السيطرة على نفسه؟

وهل يُطلِّق زوجته إلا من يمور عتبًا ويثور غضبًا؟

وهل يسب ويشتم ويلعن إلا من ملك الشيطان لسانه وعطَّل عقله وجنانه؟

إن أقرب ما يكون المَرْء من غَضَب الله إذا غَضِب، فإذا غضبت فاذكر الله ليذكرك الله حين يغضب.

فعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٣٣٧) (٣٢٨٢) صحيح مسلم (٨/ ٣٤) (٦٨٣٤).

ورجلان يستبان، فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد**»، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: **تعوذ بالله من الشيطان**، فقال: وهل بي جنون؟[1].

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قلتُ: يا نبيَّ الله! الرجلُ يَشتُمني وهو دوني، أعليَّ مِن بأسٍ أن أنتصِرَ منه؟ قال ﷺ: «**المستبَّانِ شيطانانِ يتهاترانِ، ويتكاذَبانِ**»[2].

ولأن الحرب في أوجها وقد كشفت عن ساقها ودارت رحاها بين الإنسان والشيطان، فقد جعل الله الثواب الجزيل والأجر الجليل والذكر الجميل لمن يملك قياد نفسه عند الغضب حتى لا يكون الزمام بيد الشيطان والخطام في عنق الإنسان، فيجرُّه عدوُّه لكلِّ نقيصة رخيصة، وخصوصًا في لحظات الغضب التي تعصف بالحياة، وحين الغيظ الذي

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٥١) صحيح مسلم (٨/ ٣٠) (٦٨١٢).
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٧٥) (٢٧٨١).

يفري الكبد ويحرق القلب، وحال القدرة على إيقاع العقوبة، وما أسهل أن تكون عاقلاً، ولكن؛ بعد فوات الأوان!

ليْست الأحلامُ في حين الرِّضا
إنما الأحلامُ في حين الغَضَبْ[1]

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الشديدُ بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[2].

وعنه ﵁ أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أوصني. قال: «**لا تغضب**»، فردَّدَ مرارًا، قال: «**لا تغضب**»[3].

وعن ابن عمرٍو ﵄ أنَّه سأل رسولَ الله ﷺ: ما يُباعِدُني من غضبِ الله ﷻ؟ قال: «**لا تَغضَب**»[4].

وعن أبي الدرداء ﵁ قال: قالَ رجلٌ لرسول الله ﷺ: دُلَّني على عملٍ يُدخِلُني الجنَّة؟ قال رسولُ الله ﷺ: «**لا**

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٧٩).
(٢) صحيح البخاري (٧/ ١٣٠) (٦١١٤).
(٣) صحيح البخاري (٧/ ١٣٠) (٦١١٦).
(٤) رواه أحمد، وابن حبان، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٥) (٢٧٤٧).

تَغضَب، ولك الجنَّة»[1].

وعن جارية بن قدامة رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! قل لي قولاً ينفعني الله به. قال ﷺ: «**لا تَغضب**»[2].

قال بعضهم: إيّاك وعِزَّةَ الغَضب فإنها تفضي إلى ذلّ الاعتذار.

فإذا ما اعترتك في الغضب العزة، فاذكر تذلل الاعتذار، فإنها تورث رقة الانكسار[3].

وقال مُوَرِّق العِجْليّ: ما تكلّمت في الغَضب بكلمة ندمتُ عليها في الرِّضا.

وقال يزيدُ بن أبي حَبيب: إنما غَضبي في نَعْليّ، فإذا سمعت ما أكره أخذتُهما ومَضيت[4].

---

(١) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٦) (٢٧٤٩).
(٢) رواه أبو يعلى، والطبراني في الكبير، وأحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٦) (٢٧٤٨).
(٣) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٣١٩) سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (١/ ٧١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٨١).
(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٧٩)

رحمك الله يا ابن أبي حبيب! لقد كويت الشيطان في أنفه، وألقمته التراب، وجعلته يبحث عنك فلا يجدك، وكانت نجاتك في نعلك!



هل أغظت من حرَّضك؟

إن المشكلات سبيل الشيطان الأخطر لإيقاع الناس في الكثير من الموبقات، فإنهم إذا خاصموا غضبوا، فإن غضبوا زخَّ في قفاهم، وتكلَّم بألسنتهم، وبطش بأيديهم، وركل بأقدامهم، وأنشب خطامه في أنوفهم، ليوقعهم في المهالك، فالخصومات تجرُّ ـ في العادة ـ إلى السبِّ والشتم، واللعن والطعن، والحقد والكيد، والمكر والغدر، والإيذاء والاعتداء، وغيرها من الطوام العِظام.

قال عبدالله بن عمر ﷺ: إن إبليس موثق في الأرض السفلى، فإذا تحرك فإن كل شر الأرض بين اثنين فصاعدًا من تحركه[1].

فالشيطان لا تشبعه نهمته من إغواء الإنسان حتى يورده النيران!

قال الله ـ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[فاطر: ٦].

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٢٠٩).

فخذوا حذركم من عدوِّكم، فلقد رأينا من مظاهر عداوته ما لا يعد ولا يحصى، فكم سفكت بسببه من دماء، وكم وقعت بين القرابات بتحريشه من عداوة وشحناء، وكم فرق بين إخوة وأشقاء، وكم زرع في الأسرة الواحدة من تناحر وبغضاء، وكم من حروب طاحنة ومعارك ضارية كانت بفتيل حرب أوقدها ونار عداوة أضرمها!

قال الله - تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٢].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة؛ أعظمهم فتنة. يجيء أحدهم، فيقول: فعلت كذا وكذا! فيقول: ما صنعت شيئا! قال: ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه، ويقول: نِعمَ أنتَ! فيلتزمه**»[1].

(١) صحيح مسلم (٢٨١٣).

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا أصبح إبليسُ بثَّ جُنودَه، فيقولُ: من أخذَلَ اليومَ مُسلمًا أُلبسُه التاجَ! قال: فيجيءُ هذا فيقولُ: لَم أَزَل به حتَّى طلَّق امرأتَهُ، فيقولُ: أوشَكَ أن يتزوَّجَ. ويجيءُ هذا فيقولُ: لم أزل به حتَّى عقَّ والديه، فيقولُ: يوشِكُ أن يَبرَّهُما. ويجيءُ هذا فيقولُ: لم أزل به حتى أشرَكَ، فيقولُ: أنتَ أنتَ.

ويجيءُ هذا فيقولُ: لم أزَل به حتى قَتَل، فيقول: أنتَ أنتَ، ويُلبِسُه التاجَ»[1].

إن معاركنا الحقيقة في البداية مع عدونا ثم مع أنفسنا قبل أن تكون مع الناس، فرحاها تدور بين ضلوعنا، وتسري في أوردتنا وتجري مع عروقنا، فإذا انتصرنا عليها وقهرناها للحق، وألزمناها بمراضي مولاها وبما يكون به خيرها في الحال والمآل فزنا بالنجاة من التبعات، وتخلَّصنا من كثيرٍ من الخُصومات.

ومن كُلِّ ما تقدَّم يستبين لكلِّ ذي عينين بأن الشياطين ـ كلَّ مكَّار وغدَّار ـ حريصين على إيقاع المشكلات والقلاقل

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٣٣) (٢٤٤٩) والصحيحة (٣/ ٢٧٥) (١٢٨٠).

والفتن والمحن بين الناس، فهل نُسلِم نفوسنا للعدو الماكر والخصيم المكابر؟!

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من كفَّ غضبهُ كفَّ الله عنهُ عذابهُ، ومن خزن لسانهُ ستر الله عورتهُ، ومن اعتذر إلى الله عذرهُ»**[١].

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من كظمَ غيظًا وهو يستطيعُ أن ينفِذَه، دعاه اللهُ يوم القيامةِ على رؤوس الخلائق، حتى يُخيره في أيِّ الحور شاء»**[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما من جُرعَةٍ أعظَمُ أجرًا عِندَ الله مِن جُرعةِ غيظٍ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله»**[٣].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده، والدولابي في الكنى، انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٤٧٥)(٢٣٦٠).

(٢) صحيح الترمذي (٢/ ١٩٧) (١٦٤٥).

(٣) صحيح ابن ماجة (٢/ ٤٠٧) (٣٣٧٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه، وقع رجل بأبي بكر، فآذاه، فقام رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أَوَجَدتَ عَلَيَّ يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«نزلَ ملك من السماء يكذّبُهُ بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكُن لأجلس، إذ وقع الشيطان»**[1].

جاء غلامٌ لأبي ذر رضي الله عنه وقد كسر رجلَ شاةٍ له، فقال له: مَن كسَر رجل هذه؟ قال: أنا فعلته عمدًا لأغيظك، فتضربني، فتأثم. فقال: لأغيظنَّ من حرَّضك على غيظي، فأعتقَه[2].

وجاء رجل إلى الفضيل بن غزوان ـ رحمه الله ـ فقال: إن فلانا يقع فيك، فقال: لأغيظنَّ من أمره، يغفر الله لي وله، قيل: من أمره؟ قال: الشيطان[3].



(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٥) (٤٠٩٤).
(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ـ ص (١٩٠).
(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك (١/ ٢٣٤) نثر الدر للآبي (١/ ٣٨٣).

ما قولك في غد؟

إننا كبشر نراوح في تصرفاتنا بين الخطأ والصواب، والظلم والعدل، والحق والباطل، فتارة نصيب من هذه وتارة تُصيب منا تلك، وما من أحدٍ يزعم بأنه الحقُّ المطلق والصواب الدائم الذي هو حُجَّة في كلِّ حاجة!

من ذا الذي تُرضى سجاياه كلّها
كفى بالمرء إنّما أن تُعدَّ معايبه

فالكلُّ يؤخذ من قوله وفعله ويُرد عليه ويؤاخذ به إلا من جاء بالشرع المطهَّر ﷺ.

إذًا فالخطأ وارد من كلِّ واحد فينا، فلسنا بمعصومين منه ولا مبرأين من الوقوع فيه، فنحن كتلة من المشاعر والعواطف، وأحيانًا نصبح ثورة عارمة كالبراكين والعواصف، وتارة أخرى نكون موجة حانية من السكون والكمون، فالتقلُّب في المزاجات والتباين في المواقف، والاختلاف في الظروف والتضاد في المؤثرات تجعلنا في حالات من المدِّ والجزر، والرضا والسَّخط، والإقبال والإدبار، ومادام هذا حالنا فالخطايا والأخطاء يمكن أن تقع

من الجميع، فلماذا لا نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب غيرنا؟ ولماذا نعيب سوانا على ما نقع فيه ونتلطَّخ به؟ فمصيب اليوم مخطئ الغد، ولا بُدّ!

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن تغفر اللهم تغفر جمًّا، وأي عبد لك لا ألمّا**»[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[2].

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده ... شَكَرَ الصّنيعة أو غمط
وأطعه إن عاصى وهن ... إن عزّ وادن إذا شمط
واقض الوفاء ولو أخلّ ... ما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنّك إن طلبت ... مهذّبا رمت الشّطط
من ذا الّذي ما ساء قطّ ... ومن له الحسنى فقط[3]

(١) صحيح سنن الترمذي (٧/ ٢٨٤) (٣٢٨٤).
(٢) صحيح سنن الترمذي (٥/ ٤٩٩) (٢٤٩٩) وصحيح سنن ابن ماجة (٩/ ٢٥١) (٤٢٥١).
(٣) جواهر الأدب لأحمد الهاشمي (٦٩٨) من قول الحريريّ.

إن الذي يتَّهم سواه بالسوء هو في الحقيقة يمارس سوءة التزكية لنفسه من حيث لا يشعر، ويبرئها مما لا مناص لها منه ولا مهرب عنه، وإلاَّ بربِّك من يستطيع أن ينزه نفسه من التقصير والسلامة من الخطأ الصغير أو الكبير؟!

قال الله ـ تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال ـ تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

وإذا كنت مُحِقًّا اليوم فما حالك في غدٍ؟

وإذا كنت تشكو من ألم قلبك الآن من غيرك، فما قولك إذا اشتكت القلوب منك لاحقًا؟!



لماذا نرابي في أخطائنا؟

لماذا نترك الفرصة مواتية للشيطان وأعوانه أن يرابوا في أخطائنا، ويفخموا خطايانا، ويضاعفوا في زلاتنا؟

لماذا نستدعي الماضي الأليم والأرشيف القديم في كلِّ خصام جديد؟ وكأنما نقول لعدونا: هاك رقابنا، فاصنع بها ما تريد!

وهل تحسب أن الأمر سيقف عند حدٍّ واحد لا يتخطَّاه إلى سواه؟

متى ترد الشفاء لكل غيظ
تكن مما يغيظك في ازدياد[1]

يأبى عليك الشيطان الفتَّان، وتأبى عليك نفسك الجموحة التي تزين لك المنكر وتأمرك به، وأحسب أن كلَّ واحد فينا لا يجرؤ أن يقول: نفسي لا تأمرني بسوء، وهو يقرأ قول الله ـ تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ

---

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/ ١٠٣).

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣].

إن الواقع يشهد في كثير من المواقع بأن المخاصم يريد شيئًا والشيطان يريد منه أشياء أخرى، ونفسه الجموحة لن تقنعه بالموجود، وإنما ستتكلَّف له المفقود وتتطلَّع به إلى اللامحدود، وبهذا تخرجه من دائرة الخصومة بحق إلى المخاصمة بالباطل، ومن حظيرة العدل إلى محذور الظلم ومحظور الإثم.

مشكلتك مثل جملك إن أمسكت بأولها لحِقَك آخرها، فكم من خصومة بدأت على مثل النقطة في الصِّغر فخرج منها أهلها وقد غدت هائجة مائجة كموج البحر!

لا تحقـرن صغـيرًا فـي تقلبـه
إنَّ البعوضة تدمي مقلة الأسدِ
وللشرارة نارٌ حين تضرمهـا
وربما أضرمت نـارًا على بلـدِ[1]

كان شبيب بن شيبة يقول: من سمع كلمة يكرهها فسكت عنهم انقطع عنه ما يكره، فإن أجاب عنهم سمع

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم (١/ ٤٦).

أكثر مما يكره، وكان يتمثل بهذا البيت:

وتجزع نفس المرء من وقع شتمةٍ
ويشتم ألفًا بعدها ثم يصبر[1]

ورُبَّ كلمة حمقاء أثارت فتنة هوجاء وقادت لحرب شعواء، وما حرب البسوس التي استمرت بين بكر وتغلب أربعين عامًا عنا ببعيد، وأصلها بين رجلين، وهما جسَّاس وكليب على ناقة عجفاء اسمها سراب!

ولعلَّ حركة بلهاء وتصرفًا أحمق أعقب أهوالاً جسيمة وأخطارًا عظيمة كما حصل في الحرب المهلكة التي وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان بسبب سباق بين الفرسين داحس والغبراء اللتين كانتا في سباق بين سيدي القبيلتين قيس بن زهير وحمل بن بدر، وكما وقع من حروب في يوم بعاث بين الأوس والخزرج قبل الإسلام بخمسين سنة حتى أكلت خضراءهم وأفنت كبارهم، وكُلُّ ذلك أصدق مثال على عواقب الأقوال وعقوبات الأفعال، وكم في الوقع من بلاقع!

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ١٢١).

فبينما المرء تزجيه أصاغره
إذ شمرت فحمة شهباء تستعر
تعيي على من يداويها مكايدها
عمياء ليس لها سمعٌ ولا بصر[1]

ويمكن أن يحدث حديثٌ عبرًا، ومثلٌ سائرٌ أحداثًا عظيمة وأهوالاً جسيمة تشيب منها مفارق الولدان

أرى خلل الرماد وميض نارٍ
ويوشك أنَّ يكون لها ضرامُ
فإنَ النار بالزندين تورى
وإنَّ الحربَ أولها الكلامُ[2]

وكم فعلها الصغار فوقع ضحيَّتها الكبار!

فالعاقل من يقول للشرِّ: أقصر، ويصرخ في الوجه الذميم للخلافات: كفى! ويُدوِّي في مسمع الشيطان: اخسأ عدوَّ الله، فلن تعدو قدرك!

---

(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (٢/ ٣٣٨) من شعر عقيل بن هاشم القيني.
(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم لنور الدين اليوسي (١/ ٤٦).

«قال الأحنف: من لم يصبر على كلمةٍ سمع كلماتٍ، ورب غيظٍ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه[1]، وأنشد:

رَضيتُ بِبَعْض الذُّلِّ خوفَ جميعه
كذلك بعضُ الشر أهونُ من بَعْض[2]

والعرب تقول: ويل أهون من ويلين، كما تقول: بعض الشر أهون من بعض[3].

وقد قالوا: إن صيادًا قدم بنِحْلٍ من عسل ومعه كلب له فدخل على صاحب حانوت فعرض عليه العسل ليبيعه منه فقطَر من العسل قطرة فوقع عليها زنبور، وكان لصاحب الحانوت ابنُ عرسٍ فوثَبَ ابنُ عرس على الزنبور فأخذه، فوثَبَ كلبُ الصائد على ابن عرس فقتله، فوثَبَ صاحبُ الحانوت على الكلب فضربه بعصًا ضربةً فقتله، فوثب صاحبُ الكلب على صاحب الحانوت فقتله، فاجتمع أهلُ قرية صاحب الحانوت فقتلوه، فلما بلغ ذلك أهلَ قرية

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ١٢٠).
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٧٩).
(٣) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١/ ٩).

صاحب الكلب اجتمعوا فاقتتلوا هم وأهلُ قرية صاحب الحانوت حتى تفانوا فقيل: أَشْرَى الشَّرِّ صِغَارُهُ![1]".

فلنقل جميعًا للشرِّ: أقصر، فلن نُسلم قياد أنفسنا لك، فلنا نفوسٌ تحلِّق في السماء وتطير في الفضاء، فمت بغيظك أيها الدنيُّ الشقي!

إذا أضمر المحبوب هجري وجفوتي
وعاد ولم يجز المحبة بالبغض
أقول له أحسنت فيما فعلته
حنانيك بعض الشر أهون من بعض[2]

قال الأصمعيّ: بلغني أن رجلاً قال لآخر: والله لئن قلت واحدةً لتسمعن عشرًا، فقال له الآخر: لكنك إن قلت عشرًا لم تسمع واحدةً[3].

---

(١) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري (١/ ٣٧٢).
(٢) أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين بن أبيك الصفدي (٢/ ١٢٥) من شعر ابن الحسام الافتخاري.
(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ١٢٠) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٥/ ٣٥١).

وقال رجل لعمرو بن العاص ﷺ: والله لأتفرَّغنَّ لك، قال: هنالك وقعت في الشغل؟ قال: كأنك تهددني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولنَّ لك عشرًا، قال: وأنت والله لئن قلت لي عشرًا لم أقل لك واحدة[1].

وقال رجل لابن مكدم: يا كافر! قال: وجب عليَّ الشكر، حيث لم يجر ذلك على لساني، ولم تجب علي إقامة الحجة فيه، وقد طويت قلبي على جملة أشياء. قال: وما هن؟ قال: إن قلت ألف مرة لا أجيبك مرة، ولا أحقد عليك، ولا أشكوك إلى أحد، وإن نجوت من الله ﷻ بعد هذه الكلمة شفعت لك[2].

وقال عقال بن شبّة: كنت رديف أبي، فلقيه جرير على بغلٍ فحيّاه أبي وألطفه؛ فلمّا مضى قلت: أبعد ما قال لنا ما قالٍ؟! قال: يا بنيّ، أفأوسّع جرحي؟!

قال ابن الحنفيّة: قد يدفع باحتمال مكروهٍ ما هو أعظم منه[3].

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٧٨).
(٢) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (١/ ٢٩٧).
(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ٢٨٧).

هل أنت ظالم؟

هل سمعت من يقول: أنا ظالم وأطالب بباطل؟ ذلك ما لن تسمعه! فالكلُّ مظلوم وحقُّه منهوب ومالُه مسلوبٌ ودائمًا مغلوب، وتلك دعوى الجميع على الجميع في جميع الخصومات.

وأنت في خصومتك تراوح بين أمرين لا ثالث لهما: فإما أن تكون ظالمًا أو مظلومًا!

فإن كنت مظلومًا ـ وهي خير الحالين وأفضل المنزلتين ـ فإن وليَّك الله وصالح المؤمنين، والله ﷻ نصير المظلومين، ولن يترهم حقوقهم لا في أيَّام الدنيا ولا في يوم الدِّين، وما من خوف عليك، فحقُّك محفوظ في الدنيا بالخُلف الحسن والعوض الطيِّب من الله ـ تعالى، وفي يوم القيامة بالجزاء الأوفى والدرجات العلى، وذلك إذا صبرت على قضاء الله ورضيت بقدره، وتركت من حقِّك لأجله وتنازلت لإرضائه وتسامحت لتنال من مغفرته وعفوه.

فهل أنت أكرم أم الله؟!

طِب نفسًا وقرَّ عينًا بأن أكرم الأكرمين وأجود الأجودين وخير الغافرين سيعطيك حتى يرضيك، وسيغنيك من عطاياه الجسام مما لا يخطر لك على بال ولا يصل إليه الخيال، وسيسبغ عليك من حلل فضله ما لا حدَّ له أو عد، ولن تغفر لغيرك حتَّى يغفر لك، فهذا وعد الصدق، ومن أوفى بعهده من الله؟ إن الله لا يخلف الميعاد!

قال تعالى: ﴿...وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من لا يَرحم لا يُرحم، ومن لا يغفِر لا يُغفر له، ومن لا يتب لا يُتب عليهِ»**[١].

وعن عبدالله بن عمرٍو رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ارحموا تُرحموا، واغفِرُوا يُغفَر لكُم»**[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٧٩٢) (٤٨٣).

(٢) رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٤١) (٢٤٦٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اسمَح؛ يُسمَح لكَ**»[1].

وإن كنت ظالمًا؛ فالويل لمن له الويل وهو لا يشعر!

يضحك ويفرح، ويلعب ويمرح، والله الجبَّار القهَّار خصيمه!

فإن الله لا يحبّ الظالمين، ولا يصلح عمل المفسدين، ولا يرضى عن القوم المتجبِّرين، وقد وعد عباده المظلومين بالنّصر والتمكين، والاستيفاء لحقوقهم من القوم المعتدين، ففي أيِّ الفريقين تريد أن تكون؟!

قال الله - تعالى: ﴿**وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان: ١٩].

فلا تزين لك النّفس الأمّارة بالسوء ما يكون سببًا في عذابك وسوء عقابك في دنياك وأخراك، وتخفَّف من أحمالك وتخلَّص من أثقالك، وردّ المظالم إلى أهلها، وأرجع الحقوق لأصحابها، فبين يديك عقبة كؤود لا يجاوزها إلا كلّ مخف!

(١)رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢٧) (١٧٤٩).

واحذر من شياطين الإنس والجنِّ أن يُلبِّسوا عليك الباطل فتراه بصورة الحق، فإنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا، وستقف بين يدي الذي يعلم سرَّك ونجواك وحيدًا فريدًا، مسلوبًا من كلِّ قوّة، محرومًا من أيِّ نُصرة، فمالك من الله من عاصم، وستلقى الله بصحيفتك أنت لا بصحائف غيرك، وسترى فيها ما قدّمت لنفسك أو أخّرت لعقبك، وسيتخلَّى عنك من ألقاك في أتون الظلم على قفاك، فخدين اليوم هو خائن الغد، وإن غدًا لناظره قريب!

فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنهُ قال: «**يا عبادي! إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُهُ بينكم مُحرَّمًا فلا تَظالمُوا..**»[1].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل يُملي لظَّالم، فإذا أخـذَهُ لم يُفلِتهُ**»، ثمَّ قرأ: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: ١٠٢]»[2].

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٥٨٣) (٢٥٧٧).
(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٥٨٥) (٢٥٨٣).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلمَ، فإنَّ الظُلمَ ظُلُماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشحَّ، فإن الشحَّ أهلك من كان قبلكم، وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[1].

وكم نامت عين الظالم في غفلة، وعين المظلوم مغرورقة بالدمع تتشوَّف النُّصرة، وعين الله لم تنم!

عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلومِ، فإنها تحملُ على الغمام، يقول الله: وعزَّتي وجلالي لأنصرَنَّك ولو بعد حينٍ»[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»[3].

عن الحسن بن خضر، عن أبيه، قال: أخبرني بعض الهاشميين، قال: كنت جالسا عند المنصور بإرمينية، وهو

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٥٨٥) (٢٥٧٨).

(٢) رواه البخاري في التاريخ، والدولابي، والطبراني، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٥٣) (٨٧٠).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٥٥) (٨٧١).

أميرها لأخيه أبي العباس، وقد جلس للمظالم، فدخل عليه رجلٌ فقال: إنَّ: لي مظلمة، وإني أسألك أن تسمع مني مثلا أضربه قبل أن أذكر مظلمتي، قال: قل. قال: إني وجدت الله ـ تبارك وتعالى ـ خلق الخلق على طبقات، فالصبيُّ إذا خرج إلى الدنيا لا يعرف إلا أُمَّه ولا يطلب غيرها، فإن فزع من شيء لجأ إليها؛ ثم يرتفع عن ذلك طبقة فيعرف أنَّ أباه أعزُّ من أُمِّه فإن أفزعه شيء لجأ إلى أبيه؛ ثم يبلغ ويستحكم، فيعرف أنّ سلطانه أعزُّ من أبيه، فإنَّ أفزعه شيء لجأ إلى سلطانه، فإن ظلمه ظالم انتصر به، فإذا ظلمه السلطان لجأ إلى ربَّه واستنصره، وقد كُنت في تلك الطبقات، وقد ظلمني ابنك في ضيعة لي في ولايته؛ فإن نصرتني عليه وأخذت بمظلمتي، وإلاّ استنصرت الله ﷻ ولجأت إليه، فانظر لنفسك أيُّها الأمير أو دع! فتضاءل أبو جعفر، وقال أعد عليَّ الكلام، فأعاده. فقال: أمَّا أول شيء فقد عزلت ابني عن ناحيته، وأَمَرت بِرَدِّ ضيعتك[1].

فاحذر ظلم من لا يجد له نصيرًا عليك إلا الله، فإنه لا طاقة لك بربِّك!

---

(١) الفوائد والأخبار لأبي بكر بن دريد الأزدي (١/ ١) بتصرف.

هل الدنيا تساوي نكدك؟

الدنيا بما فيها وعليها منذ خلقها الله إلى أن يرثها ـ وهو خير الوارثين ـ لا تُساوي في ميزان الله ـ تعالى ـ جناح بعوضة، فماذا يمكنك أن تملك من هذا الجناح؟

فعن سهل بن سعد ﵁ قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة، فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها، فقال: «**أترون هذه هينة على صاحبها؟ فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها قطرة أبدا**»[1].

وهل يساوي ما يمكن إدراكه منها ـ على قِلَّته وهزالته ـ خسارتك لراحتك وأنسك ومسرَّتك؟

وهل يوازي ما كسبته في خصومتك ما فقدته من علاقتك بأخٍ لك في الإسلام مهما كانت جنايته عليك وإساءته إليك؟

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٥/ ٣٢٠) (٢٣٢٠) وصحيح ابن ماجة (٢/ ٣٩٤) (٤١٠٠) والسلسلة الصحيحة (٦٨٦) و(٢٤٨٢).

قال يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا بأجمعها لا تساوي غم ساعة، فكيف بغم طول عمرك وقطع إخوانك بسببها، مع قلة نصيبك منها![1]

وماذا ستصير أنت وما صار إليك منها في نهاية المطاف؟ كلُّ من على الأرض زائل وإلى الله راحل، قال الله ـ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن: ٢٧].

ولا ينفعك في مسيرك إلى ربِّك إلا ما جمعته من زاد ليوم المعاد، فهل ترى خصوماتك على الدنيا من زادك لمعادك، وما ترجو ثوابه من الله يوم تلقاه؟ أو ستقول ـ بعد فوات الأوان: يا ضيعة المسعى، ويا ضلال التعب، ويا خسارة الحرص والنّصب!

لقد أعطينا الدنيا من الاهتمام بها والاغتمام لفقدها فوق قدرها وأكثر مما تستحق منا، ولن نعرف قيمتها على حقيقتها إلا إذا أُخرجنا منها وخلّفناها وراء ظهورنا، وعلمنا أنها غرَّارة غدّارة مكّارة، قد سرقت منا أعمارنا،

---

(١) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي (١/ ٥).

وحرمتنا استقرارنا، وأفقدتنا أحبابنا، وخالفت بين قلوبنا، وسامتنا - بحبها - سوء العذاب!

وحسب الدنيا من الدناءة أن الله يُعصى فيها، ويكفيها من البلايا ما يقع فيها من الرزايا، ولو لم يكن فيها إلا ما يحصل من التكدير والتعكير لكفانا أن نزهد فيها ونرتحل بقلوبنا إلى دار القرار التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويكفي من جمالها وكمالها أن الله - تعالى - نزع الأحقاد من صدور أهلها وطهَّر قلوبهم مما يعكِّر صفو مقامهم فيها وتلذذهم بها وبما فيها من نعيم مقيم وخير عميم، فلا يسمعون إلا ما يسر، ولا يبصرون إلا ما يبهج، لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

قال الله - تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن

تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣].



هل تعرف عظمة خصمك؟

تخيَّل لو قيل لك بأنك ممنوع من دخول البيت الحرام والطواف به بسبب خصومتك مع فلان، ستبهت حتمًا وتصرخ ألمًا: وأيُّ شيء من الدنيا يساوي حرماني من نصيبي في الطواف ببيت ربي والعكوف فيه؟

أقول لك بأن حرمانك من أخيك وخسارتك لعلاقتك به وقطيعتك له ربما تكون أعظم من خسارتك لطوافك النَّفل بالبيت الحرام، لأنَّ المؤمن أغلى مكانة وأعلى كرامة عند الله ـ تعالى من الكعبة المشرفة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الكعبة، فقال: «**مرحبًا بكِ من بيتٍ، ما أعظمَكِ، وأعظمَ حرمَتكِ! وَلَلْمُؤمنُ أعظمُ حرمةً عند الله منكِ، إنَّ الله حرَّم منكِ واحدةً، وحرَّمَ من المؤمنِ ثلاثًا: دمَه، ومالَه، وأن يُظنَّ به ظنَّ السُّوءِ**»[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، انظر: السلسلة الصحيحة (٧ ـ ٢/ ١٢٤٨) (٣٤٢٠).

بل هو أغلى من الدنيا وما فيها وأعلى قدرًا منها وأكرم شأنًا من كلِّ ساكنيها إلا مسلميها، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**»[1]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لَكَبَّهم الله عز وجل في النار**»[2]

فلا تتقحم حماه بما يُسخط عليك مولاه، فإنه جليل القدر وعظيم المنزلة وكريم المكانة عند الله ـ تعالى ـ لتوحيده وإيمانه، والله وليّ المؤمنين!



(١) صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٩٢) (٢١٢١).
(٢) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٥٧) (١١٢٨).

من أين تبدأ المعركة؟

الخصومات كالنَّدبات الناتئة فوق صفحة خدٍّ أملس، تشينُه ولا تزينه، وكالنُّكت السوداء المطبوعة على جدران القلب المصقول، ونفوس الكبار تترفَّع عن جمع القاذورات بين جدرانها، وتتحامى أن تكون كالأسفنجة التي تجمع العفن في داخلها وتلمُّ النتن بين أطباقها، وكلَّما اعتراها ما يُكدِّرها من الأحقاد قامت مسرعة كما يقوم الجُنب إلى طهارته فيزيل الخبث ويرفع الحدث، فعادت في ودِّها كسابق عهدِها زكيَّة نقيّة، صافية كالماء الزلال، وطاهرة كماء المزن من السماء، لا تتحمَّل الأنجاس ولا الأرجاس!

وسلامة الصدر تعني السلامة من كُلِّ أمراض القلوب، فلا غِلَّ أو حسد، ولا حقد أو ضغينة، ولا نيَّة رديئة دفينة، بل أمن وإيمان، وحُبٌّ وإحسان، ورغبة في الخير للغير.

فعن النعمان بنِ بشير رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: **«مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم مثلُ الجسدِ، إذا اشتكى منه عُضوٌ، تداعى له سائرُ الجسدِ بالحُمى والسَّهر»**[1].

(١) صحيح البخاري (٧/ ١٠٢) (٦٠١١).

فالمؤمنَ يسوؤه ما يسوءُ أخاه المؤمن، ويُحزِنُه ما يُحزنه[1]، لأنه مبرأ من وساوس الضغائن ومساوئ الدفائن وثوران الأحقاد، «فأفضل الأعمال سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها»[2].

قال بعض السلف: أفضل الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس والنصيحة للأمة، وبهذه الخصال بلغ من بلغ لا بكثرة الاجتهاد في الصوم والصلاة[3].

وقال قاسم الجوعي: أفضل طريق الجنة سلامة الصدر[4].

وقال سري السقطي: من أجَلِّ أخلاق الأبرار؛ سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم[5].

وعن سفيان بن دينار، قال: قلت لأبي بشير: أخبرني عن

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١٥/ ٦).

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي (١/ ١٥١).

(٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي (١/ ١٥١).

(٤) بستان العارفين للنووي (١/ ١٠) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ٢٣٦).

(٥) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي (١/ ٢).

أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا. قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم[1].

وعن زيد بن أسلم قال: دُخل على أبي دجانة ﷺ وهو مريض وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين؛ أما إحداهما: فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليما[2].

فالمؤمن حقًّا والمسلم صدقًا يَسُرُّهُ ما يَسرُّ أخاه المؤمن، ويُريد لأخيه المؤمن ما يُريده لنفسه من الخير، وهذا كُلُّه إنَّما يأتي من كمالِ سلامةِ صدره وجمال صفاء قلبه، وهذه منقبة عظيمة وخُلَّة كريمة، قليل هم الذين يتحلون بها؛ لأنه عسيرٌ على النفس أن تتجرد من حظوظها، وتتنازل عن حقوقها لغيرها، «فأكرم الصنائع سلامة الصدور»[3].

---

(١) الزهد لابن السري (٢/ ٦٠٠).
(٢) الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا (١١٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٤/ ٩٢) صفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٤٨٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ١٥٢).
(٣) سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (١/ ١٦٣).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن غرٌّ كريم، والفاجر خبّ لئيم**»(1).

إن المؤمن غرٌّ كريمٌ، غافل عن الشرِّ، مطبوع على الخير، خالٍ من المكر والخبث، بعيد عن المخاتلة والمحايلة، غلبت عليه سلامة الصدر ونقاء القلب وصفاء السريرة، فلسانه موصولٌ بجَنانه، وهما يهتفان: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

هكذا يبدأ المؤمن معركته مع الشيطان بين جوانحه، فبين الحنايا والضلوع تدور رحى الحرب المستعرة، فالشيطان يريد أن يحتلَّ ساحة الملك ـ وهي القلب ـ أو يُثخن فيها الجراح بالأمراض والأسقام، لتكون الأعضاء من بعدها مُلك يمينه وطوع أمره، والمؤمن الصادق يلبس لامة الحرب ليذود عن حماه ليكون خاليًا إلا من مولاه، فلمن تكون

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٠٩) (٤٠٠٦) وصحيح سنن الترمذي (٤/ ٤٦٤) (١٩٦٤) والسلسلة الصحيحة (٩٣٥)، صحيح الجامع (٦٦٥٣).

الغلبة بعد تلك الجلبة؟

قال ابن القيم: الدنيا والشيطان عدوان خارجان عنك، والنفس عدو بين جنبيك، ومن سنة الجهاد؛ قاتلوا الذين يلونكم[1].

وتأمَّل أيُّها المقاتل في هذا المناضل...!

فعن علبة بن زيد رضي الله عنه أنه قام من الليل يصلي، فتهجد ما شاء الله، ثم بكى، وقال: اللهم إنَّك أمرت بالجهاد ورغَّبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوَّى به، ولم تجعل في يد رسولك ﷺ ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد أو عرض. وأصبح الرجل من الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**أين المتصدق هذه الليلة؟**». فلم يقم أحد، ثم قال: «**أين المتصدق؟ فليقم**». فقام إليه فأخبره. فقال رسول الله ﷺ: «**أبشر، فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة**»[2]

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (٣/ ٧٤٥).

(٢) فقه السيرة ـ الغزالي ـ بتحقيق الألباني، وقال عنه: صحيح. ص ٤٠٥.

وعن قتادة رضي الله عنه قال: أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضيغم - أو ضمضم - كان إذا أصبح، قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك.[1]

وفي هذا الجود من سلامة الصدر وراحة القلب والتخلص من معاداة الخلق ما فيه.[2]

فهل تلزم غرزه، وتتبع رحله، وتسير على خطاه؟! ذلك ما أتمناه!



(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٤) (٤٠٨٧).
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٩٥)

أليس أمر الأمَّة مما يُهمّك؟

إن خصومتك مع أخيك المسلم تضر بالأمَّة جمعاء، وأنت بها تساهم في هزيمة هذه الأمَّة وتكون سببًا في ضعفها وهوانها على أعدائها لأنَّ الأمة تتكون منك ومن خصمك، فإن هجرته وهجرك تزعزع بنيان الأمَّة وتضعضع كيان المجتمع، فكان كالبيت الرميم والعصف الهشيم.

إن الأمَّة كالبنيان المرصوص، فإذا كانت لبناتها متنافرة وجدرانها متناحرة، فكيف للبنيان أن يكون متماسك الجدران متعاضد الأركان، فلا يمكننا الانتصار على أعدائنا لأن بيوتنا مهدمة من الداخل.

فهل تناسيتم رابطة الدين وأخوَّة العقيدة ووشيجة الإيمان؟

قال الله ـ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...﴾ [الحجرات: ١٠].

وعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يُسلِمُهُ، من كان في حاجة أخيه كان الله**

في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[1].

سينطق الشيطان على بعض الألسن ـ ولطالما سمعت هذا من غيرك ـ هذا ليس أخي، ولا أريد أن أكون!

أتساءل في حرقة: هل ما وقع بينكما من خصومة وصل بكما إلى حدِّ القتل وسفك الدم وإزهاق الروح؟

في الغالب الأعمّ أن الخصومة لم تصل لهذا الدرك الأَذمّ، ولو أن الحال بلغ بكما إلى هذا المآل من الاقتتال إلا أن الأخوَّة الإيمانية لا تزول من النفوس ولو زالت الأنفاس!

قال الله ـ تعالى: ﴿ **وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠** ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٥٨٥) (٢٥٨٠).

فانظر كيف سمّاهما الله مؤمنين ولم ينفِ الإيمان عنهما مع أنهما يتقاتلان، بل سمّى القاتل أخًا للمقتول، فاسمع ماذا يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فالمسلم أخو المسلم، ولو جرى بينهما ما جرى، فإنه أصمُّ الأذن مما سمع، وأعمى البصر عمّا رأى!



لماذا تكثر بينهم؟

إن قاعدة الشيطان الذهبية في إضعاف الأمَّة الإسلامية، تقول: فرِّق تسُد!

فالراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، ويد الله مع الجماعة، والجماعة رحمة والفرقة عذاب، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، وضعيف بذاته قويٌّ بمن حوله، وإذا تحوَّل البعض منَّا سِلمًا لأعدائه وحربًا على أوليائه، فقل: على الدنيا السلام

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً

على المرء من وقع الحسام المهنّـــد[1]

قال الله ـ تعـالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ

(١) التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي (١/ ١٤) والحيوان لأبي عثمان الجاحظ (٧/ ١٥٠) من شعر: عدي بن زيد.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

لقد سلم عبّاد الصليب والنار والأصنام من أذى بعض الأنام ولم يسلم منه أولى الناس به وأحق الخلق بسماحته ومسامحته.

إذا لم يكن جاهي لقوميَ نافعًا
ومالِيَ مضنونٌ به عن أقاربي
فلا كان ذاك الجاه والمال إنّه
برِغميَ مَذْخُورٌ لبعض الأجانبِ [1]

فمن العجائب ـ والعجائب جمَّة! ـ أن ترى البعض يغفر إساءة الأغراب، ويتجاوز عن أخطاء الأجانب، ويغض الطرف عن تعدي الأباعد، وربما يختلق لهم الأعذار ويقبل منهم الاعتذار، ولكنه على ذوي رحمه ذو بأس شديد ورأس عنيد ومراس شديد!

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الكاتب الأصبهاني (٢/ ٥١).

وهل أنا مسـرور بقرب أقـاربـي

إذا كان لي منهم قلوب الأباعـد؟[1]

ومن الطبيعي أن تكون الخصومات بين أناس لا يفهمون بعضهم ولم تجمعهم دار أو جوار أو تحيط بهم جدران وأسوار، ولكن مِن العجيب أن تجد أن الخصومات الأكثر تكمن بين من عاشوا مع بعضهم زمنًا طويلاً من الدهر وتعاشروا في كنف الأسرة سحابة العمر، وفهموا أخلاق بعضهم بالمباشرة والمعاشرة والمصاهرة، وهذا يفسر أن أغلب الخصومات بين القرابات من الشيطان الذي يوقع بينهم العِداء والبغضاء، ليفرِّق بينهم، ويشتِّت شملهم، وفيهم سمَّاعون له، ومصدِّقون قوله، ومستسلمون لتحريشه، ومنقادون لخططه.

إذا كان في صدر ابن عمك إحنة

فلا تستثرها سوف يبدو دفينهـا[2]

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر القرطبي النمري (١/ ١٦٦) من قول أبي فراس الحمداني.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر القرطبي النمري (١/ ١٦٦) من قول أبي الطمحان القيني.

من أنت غدًا؟

أيهما أحبُّ إليك؟ أن يقول الناس ما أرحمَهَ، وما أجمل خلقه وما أنبل طبعه! تمكَّن من خصومه فغفر، وتجاوز الناس عليه فستر، وأساء الخلق إليه فصبر، أم قولهم: ما أقسى قلبه، وأغلظ طبعه، وأسوأ خلقه، تمكن فسحق، واستطاع فمحق، وقدر فحرق؟

وما تريد أن يصفك الناس به، بالقوة أم بالرحمة، بالشدة أم باللين، بالعنف أم بالرفق؟

وماذا تحب أن تكون صفتك يوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور؟ ومن أنت عند الله؟! أرحيم القلب أم قاسيه؟ أليِّن الجانب أم جافيه؟ أكريم الطبع أم جانيه؟

إن مسبَّة السوء لا تسرُّك أن تُقال عنك هنا في الدنيا، فكيف بها في الدار الآخرة؟

فعن جابر ﵄، وابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمن تحرم عليه النارُ غدًا؟ على كلِّ هيِّنٍ،**

قريبٍ، سهلٍ»[1].

وعن حارثة بن وهب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أُنبِّئكُم بأهلِ الجنَّة؟ كُلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف. ألا أُنبئكُم بأهل النار؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبِرٍ»**[2].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ الضعفاء المظلومون. ألا أنبئكم بأهل النار؟ كلُّ شديد جعظري»**[3].

وعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنونَ هيِّنون ليِّنون، مثل الجمل الألِف**[4] **الذي إن قِيد انقاد، وإن سيق انساق، وإن أنختَه على صخرةٍ استناخ»**[5].

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٠٤) (٢٠٢٢).
(٢) صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٣٩٥) (٣٣٢٣).
(٣) أخرجه الطيالسي، وأحمد، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٤١) (٩٣٢).
(٤) قال في « النهاية « : « أي المأنوف ، و هو الذي عقر الخشاش أنفه ، فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به ، و قيل : الأنف الذلول « .
(٥) أخرجه العقيلي في الضعفاء وغيره، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٤٦) (٩٣٦).

ومن أنت غدًا في ذاكرة الناس؟ هل سيبكون عليك، ويذكرونك بخير، ويدعون لك بما يسرُّك أن تراه يوم أن تلقى الله؟! أم أنهم سيحمدون الله الذي خلَّصهم منك وأراحهم من أذاك وطهَّر حياتهم من خصومتك؟

فعن أبي قتادة الأنصاري ﵁ أنَّه كان يُحدِّثُ أنَّ رسولَ الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازةٍ، فقال ﷺ: «**مستريحٌ ومُستراحٌ منهُ**»، قالوا: يا رسول الله! ما المُستريحُ والمُستراحُ منه؟ قال ﷺ: «**العبد المؤمنُ يستريحُ مِن نَصَبِ الدنيا وأذاها إلى رحمةِ الله ﷻ، والعبد الفاجرُ يستريحُ منهُ العبادُ والبلادُ والشَّجرُ والدَّوابُّ**»[1].

قال بعض الحكماء من السلف: عاشروا الناس، فإن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم[2].

إنَّ من الناس من تبكيه عند موته الخليقة وتنعيه الأمَّة وتتحسَّر عليه البشرية، ومنهم من يبكيه زوجته وأبناؤه

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢٤٦) (٦٥١٢).
(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي (١/ ٤) آداب الصحبة لعبدالرحمن السلمي (١/ ٦٧).

تفجُّعًا أيامًا معدودة ثم يطويه النسيان وكأنه ما كان، فما الفرق بين الاثنين؟!

هذا مِعطاء وذاك خطَّاء! فهل يستويان مثلاً؟!

فالأوَّل عاش لنفسه وأفنى حياته في رعاية مصالحه وأمضى عمره في مكاثرة ماله وعياله ورجاله، فمن يفتقده إلا هُم؟!

والثاني عاش لغيره، وقضى حياته في خدمة الناس، وأفنى عيشه في البذل والفضل، والسماحة والمسامحة، والمصافحة والمصالحة، والإهداء والإعطاء، فحقيق بهم أن يبكوه على قدر إحسانه، ويدعوا له بحسب فضله، ويثنوا عليه على قدر إنعامه، فكلما زاد لهم في حياته زادوا له بعد مماته، وكلما زرع في أرض حياتهم بذور المعروف والإحسان جنى من ثمارها كلَّ حين بإذن ربِّها، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد

ملء المسامع والأفواه والمقل[1]

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ من**

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة لمحمد بن أمين المحبي (٦/ ٦٩).

الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإنَّ من الناس ناسًا مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»[1].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«عند الله خزائنُ الخير والشرِّ، مفاتيحُها الرِّجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويلٌ لمن جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير»**[2].



(١) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٤٦) (١٩٤) والسلسلة الصحيحة (٣/ ٣٢٠) (١٣٣٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، انظر: صحيح الجامع (٢/ ٧٥٥) (٤١٠٨).

هل تخطبها دون مهر؟

لا أشكُّ مطلقًا بأن تنازلك عن حقوقك في خصومتك أمرٌ عسير وقرار صعب واختيار شاق، وأكاد أشعر بما في قلبك من لوعة وما في نفسك من حرقة، فمن العسير على النفس السويَّة أن تشعر بالمهانة وتذوق مرارة الإذلال وتتجرع حرارة القهر، ولكني أعلم يقينًا بأن الجنَّة تستحق التضحية، وتتطلَّب منك دفع المهر، فليست بالمجان، ولا ينالها الغافل الكسلان، وطريقها محفوف بالمكاره، وتحتاج إلى جُهد وجهاد، وصبر وزاد، فهل ترك الخصومة مهرًا لها كثيرٌ عليها؟! وهل تنازلك عن حقِّك أو بعضه يُعادل ثمن دخولها والتلذذ بما فيها؟ ـ بعد رحمة الله.

وهل العافون عن الناس يرغبون في الجنَّة دونك؟

وهل يطمعون في فضل الله أكثر منك؟

وهل تريد دخول الجنة بالمجان؟

وهل الجنة تُنال بالأماني، وتُدرك بالأحلام، وتُدخل بالأطماع؟!

إنها الدار العالية والسلعة الغالية التي لا تُنال إلا بالمصابرة على الأوجاع، والمجاهدة للأطماع، والتضحية بالرغبات، والتعالي على النزوات.

قال الله ـ تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ..﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

إن سلامة الصدر من الأحقاد ونقاءه من الضغائن من أعظم أسباب دخول الجنة، فعن أنس بن مالك ﵁ قال: كنا جلوسًا مع الرسول ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**»، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله

بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. فقال: نعم، قال أنس: وكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله ﷻ وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبدالله! إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق[1].

---

(١) رواه عبدالرزاق (٢١٦٢١) وأحمد (١٢٤٠٥) والنسائي في الكبرى للكمال الدميري (١٠٥٩٧) قال المنذري رحمه الله ـ تعالى: «رواه

فوطن نفسك على بذل ما تكره، لتنال ما تحب، وما عند الله من العطايا خير لك وأحب من الدنيا وما فيها، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل!

أما من يريد أن يستوفي حقوقه من الخلق كيفما يريد، ويأخذ من الناس ما يشاء، فربما يستوفون حقوقهم منه في يوم الجزاء، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ومن خفَّف عن غيره من الأحمال والأثقال في زمن الإمكان، خفَّ حِملُه من الأوزار والعصيان، فبين أيدينا عقبة كؤود لا يرتقيها إلا من استعدَّ لها وتخفَّف من أحماله وأثقاله، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن بين أيديكم عقبة كؤودًا، لا ينجو منها إلا كل مخف**»[1].



أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم» ا.هـ الترغيب والترهيب ٣/ ٣٤٨ وقال ابن كثير: «هذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين» ا.هـ التفسير ٤/ ٣٣٩ وقال ابن حجر الهيتمي: «رواه أحمد بإسناد على شرط الشيخين والنسائي بسند صحيح أيضا». الزواجر (١/ ١٠٠).

(١) أخرجه البزار في «مسنده» وابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار»، انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٦٢٧) (٢٤٨٠).

هل نخلق مجتمع الرحمة؟

إذا شاعت الخصومات بين أفراد الأمَّة المسلمة دبَّ في الجسد الواحد من الأسقام والآلام ما يذهب بوحدتها ويقوض بنيانها ويهدم أركانها، فلا تسألوا عن علاقات أهلها الباهتة ومعاملاتهم الفاترة وقلوبهم المتناحرة ونفوسهم المتنافرة، فالمشكلات تبعث القلاقل، والخصومات تثير العداوات، والإحن تشعل نار الفتن، فما أهنأها من لقمة سائغة بين أنياب ومخالب أعدائها الذين ساهموا في تفريق شملها وتمزيق أهلها، وأصبحت لهم غنيمة غالية يسومونها سوء العذاب ويجرعونها مرَّ العقاب لفساد قلوب أهلها وانكفائهم على بعضهم ببغضهم، فالبعض منهم ربما يبغض أخاه في الإسلام وربما في النسب أكثر من كرهه لليهود والنصارى وكلّ أُمَّة كافرة ودولة فاجرة، ولذلك سلِم منه أعداؤه ولم يسلم منه أقرب الناس منه وأحقُّ الخلق به، وتلك سوءات تموج بها وقائع الحياة وتمور بأهلها فواجع الواقع!

قال سفيان بن الحسين: كنت جالسًا عند إياس بن معاوية، فنلت من إنسان.

فقال لي: هل غزوت في هذا العام الترك والروم؟ فقلت: لا. فقال: سلم منك الترك والروم، وما سلم منك أخوك المسلم؟[1].

وفي أخرى، قال: كنت عند إياس بن معاوية وعنده رجل، تخوفت إن قمت من عنده أن يقع فيَّ، قال: فجلست حتى قام، فلما ذكرته لإياس، قال: فجعل ينظر في وجهي، فلا يقول شيئًا حتى فرغت، فقال لي: أغزوت الديلم؟ قلت: لا، قال: فغزوت السند؟ قلت: لا، قال: فغزوت الهند؟ قلت: لا، قال: فغزوت الروم؟ قلت: لا، قال: فسلم منك الديلم، والسند، والهند، والروم، وليس يسلم منك أخوك هذا؟![2].

فمن أراد السلامة من الناس، فليسلموا منه، وذلك هو

(١) الرسالة القشيرية لعبدالكريم بن هوازن القشيري (١/ ٧٣) تنبيه الغافلين للسمرقندي (١/ ١٧٨).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٣١٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣٣٦).

المسلم، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**»[2].



(١) صحيح البخاري (١/ ١٠) (١٠).
(٢) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٣١) (٢١١٨).

هلاَّ أرخيت رأسك!

أعجبني كثيرًا ذلك الكبير في سنه وعقله عندما قال له صغير في سنه وعقله كلمة شائنة في مجلس حافل بالرجال الأفاضل نكَّس رأسه ومال بجسده ثم استتم في جلسته، فقيل له في ذلك، فقال: أراد أن يصكّ بها أذني، فحنيت لها رأسي ونحيت عنها جسدي، فذهبت عني لترتدَّ على صاحبها دوني.

قال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه: إذا سَمعت الكلمةَ تُؤْذِيك فطأطِئ لها حتى تَتخطاك[1].

وكلمة حاسد في غير جرم
سمعت فقلت: مرّي فانفذيني

عُنيتُ بها كأن قيلت لغيري
ولم يعرق لها يومًا جبيني[2]

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٨٠).
(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/ ١٠٤).

قال المهلب: إذا سمع أحدكم العوراء فليطأطئ لها تتخطاه[1].

إذا قِيلت العوراءُ أغضى كأنّـه
ذَلِيل بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصرْ

وأحسن بيْت في الحِلْم قولُ كَعْب بنِ زُهير:

إذا أنت لم تُعْرِض عن الجهل والخَنَا
أصبتَ حَليمًا أو أصابك جاهــــلُ[2]

وهكذا تنطفئ نار الشيطان التي أوقدها بتلبيسه وتدليسه ليحرق بها من أراد أن يستخِفَّهم بخيله ورجله إذا أخذوا الأمر على حقيقته، وتعاملوا مع الأحداث بواقعية دون تفخيم أو تضخيم ليكون الشيطان هو الأدحر والأخسر، لأنهم سدُّوا عليه مسارب التحريش وأغلقوا في وجهه باب التلبيس، وإنما آفتنا من التسلسل مع خطوات الشيطان والتعامل مع الأحداث بتشنُّج وتهييج وإثارة وتحفُّز للمقاتلة والمصاولة والمجاولة.

---

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/ ١٠٤).
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٧٩).

قال الله ـ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

وقف رجل على عامر الشَعبَيّ فلم يدع قبيحًا إلا رماه به، فقال له عامر: إن كنتَ صادقًا فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذبًا فغفر الله لك[١].

وقال رجلٌ لأبي ذر: أنت أبو ذرٍّ؟ قال: نعم. قال: لولا أنك رجل سوء ما أخرجت من المدينة. فقال أبو ذر: بين يدي عقبةٌ كؤودٌ إن نجوت منها لا يضرني ما قلت، وإن أقع فيها فأنا شرٌّ مما تقول[٢].

(١) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٣١٠) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ١٣٩) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ١٢٠) البيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ (١/ ٢٥١).

(٢) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (١/ ٢٩٦).

وروي أن عمر بن عبدالعزيز لما ولي الخلافة خرج ليلة في السحر إلى المسجد ومعه حَرَسِيّ فمرَّا برجل نائم على الطريق فعثر به عمر. فقال له: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا، فهمَّ الحرسي به. فقال له عمر: مه! فإنه سألني أمجنون أنت؟ فقلت: لا[1].

وقسم معاوية ﷺ قطافًا، فأعطى شيخًا من أهل دمشق قطيفة فلم تعجبه، فحلف أن يضرب بها رأس معاوية.

فأتاه فأخبره فقال له معاوية: أوف بنذرك، وليرفق الشيخ بالشيخ[2].

وشتم سفيه حكيمًا وهو ساكت، فقال: إياك أعني! فقال: وعنك أغضي!

وبعض انتقام المرء يردي بعقله

وإن لم يقــع إلا بأهــل الجرائم[3]

(١) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبدالعزيز (٢/ ٤٢٥).
(٢) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٣١٠).
(٣) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/ ١٠٤).

هل ذقت هذه اللذة؟

يعتقد البعض بأن لذَّة الانتصار على المخاصم والفوز على المراغم لا تساويها لذَّة في الدنيا، وتلك خدعة شيطانية من عدوِّهم الخصيم الذي قعد لهم بأطرقهم ليحول بينهم وبين لذّة العفو وحلاوة الصفح ومتعة التصافي، ولو علم المجدّون بما للعفو من لذّة في حياتهم لما عدلوا عنها إلى غيرها ولو حازوا الدنيا بأطرافها بين أصابعهم وفي قبضة أيمانهم، وليس من ذاق كمن سمع!

أغلظ رجل على معاوية فأسمعه ما يكره في وجهه، فقال: لولا أني لم أتجرع جرعة قط هي ألذ عندي من جرعة غيظ وحنق رددتها بعفو، لسقيت الأرض من دمك! ارجع إلى أهلك سالمًا[1].

وقال: ما وجدت شيئًا ألذَّ عندي من غيظٍ أتجرعه، ولم

(١) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة لأبي عبدالله القلعي (١/ ١١١).

يعرف قيمة الأبَّهة من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ[1].

وقال المأمون: لو يعلم الناس ما لي في لذة العفو ما تقربوا إليَّ إلا بالجرائم![2]

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًّا يقول: لقد وجدنا من لذة العفو ما لم نجد في لذة العقوبة[3].

وقال الراغب: لذة العفو أطيب من لذة التشفي؛ لأن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم[4].

وقال بعض السادات من أهل الولايات: لو تعلم العوام ما في قلوبنا من حلاوة العفو لتقربوا إلينا بالجنايات[5].

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر بن عبد البر القرطبي (١/ ٨٠).

(٢) سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (١/ ٦٩).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ٣٢٥).

(٤) فيض القدير للمناوي (٦/ ٢٣٤) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق الحصري القيرواني (١/ ٢٠٣) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١/ ٤٦٠) عن المنتصر.

(٥) ديوان الصبابة لابن أبي حجلة (١/ ٤٩).

ومن كلام الخليفة المنتصر بالله إذ عفا عن أبي العمرد الشاري: لذة العفو أعذب من لذة التشفي، وأقبح فعال المقتدر الانتقام[1]".

وقيل للإسكندر: أي شيء أنت به أَسَرُّ مما ملكت؟ قال: مكافأة من أحسن إليَّ بأكثر من إحسانه، وعفوي عمن أساء بعد قدرتي عليه[2]".

لذة العفو إن نظرت بعين العدل

أشفى من لذة الانتقام

هذه تكسب المحامد والمجد

وهذه تجيء بالآثام(٣)

تلك شهادة الأسبقين الأقدمين، أما المعاصرون المحدثون

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/ ٤٤) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٨/ ٤١٩) تاريخ الخلفاء لابن أبي بكر السيوطي (١/ ٣١٠) مروج الذهب لأبي الحسن المسعودي (٢/ ٩٨) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبدالملك العصامي (٢/ ٢٢٨).

(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/ ١٠٤).

(٣) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٢١٨) نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد النويري (٦/ ٥٥)

فذلك مما ننتظره على يديك وأمثالك ممن هداهم مولاهم فتساموا على جراحهم، وتناسوا آلامهم، فأذاقهم الله بكرمه لذَّة العفو وحلاوة الصفح ومتعة المسامحة!



لماذا ننسى الفضل بيننا؟!

إن الشيطان وأعوانه حريصون عند الخصومات على طيّ صفحات الإحسان السابقة، وتجاهل مواقف المعروف القديم، والتنكُّر لأيَّام الهناء وأعوام السعادة، والتغافل عن صور الوئام والانسجام التي كانت ترفرف في سماء المتخاصمين، لتجتثَّ كلَّ أثر حسن في ماضيهما وتمحو أيَّ ذكرى جميلة من سالف الدهر بينهما، وتطبق بأيدي النكران على أعين الجميع حتى لا يبصروا إلا فواجع الحاضر ومواجع الواقع، فتوقد نار الخصومة وتُلهب ضريم الأحقاد وتنفخ في جذوة الخلاف، وما تلك من عادة الأجواد الأماجد، فالأحرار الشرفاء لا ينسون إحسان الناس إليهم ولو بعد حين من الدهر، ولا يتنكرون لماضيهم السحيق، ولا يجحدون الفضل بينهم، ولئن أساء مسيء اليوم غمسوا إساءته في بحر إحسانه السابق من ماضي دهرهم، ووهبوه لمعروفه المطبوع على جدران قلوبهم، وغمروه في نهر حسناته القديمة، فكأنه لم يكن شيئًا مذكورًا، وعاد الشيطان من جولته مذمومًا مدحورًا!

وإذا الحبيب أتى بذنبٍ واحدٍ
جاءت محاسُنه بألف شفيعِ

فهل تُمحى الأيام الخوالي، وتذهب المواقف الخالدة، ويُلغى الرصيد السابق، من أجل خطأ حادث، تالله ما هذا بفعل المنصفين!

فإن يكن الفعلُ الذي ساء واحدًا
فأفعالُهُ اللائي سررنَ ألوفُ

والمنصف من نفسه يرى ضرورة المحافظة على الذكريات الجميلة والماضي السعيد والمواقف الرائعة، ويسعى في حفظ العهد القديم، فإن حفظه من الإيمان!

واحفظْ لصاحبِكَ القديمِ مكانَه
لا تتركِ الودَّ القديمَ لطاري
وإذا أساءَ وفيكَ حملٌ فاحتملْ
إن احتمالكَ أعظمُ الأنصارِ[1]

---

(١) مجمع الحكم والأمثال لعمر بن الوردي (١/ ٣٧).

أرسل حاطب بن أبي بلتعة ﵁ لقريش يخبرهم بغزو رسول الله ﷺ لهم، فجاء به رسول الله ﷺ وقال له: **يا حاطب! ما هذا؟** قال: يا رسول الله! لا تعجل عليَّ إني كنت امرءًا ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي وما فعلت كفرًا، ولا ارتدادًا، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **لقد صدقكم.** قال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»[(١)].

لقد حافظ رسول الله ﷺ على سابقته في الخير ورعى له ماضيه القديم في البذل للدين، وتلك أخلاق الأسوياء الأوفياء!

فلماذا يغدو البعض منا كفَّارًا للعشير، ناكرًا للجميل، فلا يلمح إلا للنقطة السوداء في الثوب الأبيض، ولا ينظر في

(١) صحيح البخاري (٤/ ٧٢) (٣٠٠٧) صحيح مسلم (٧/ ١٦٧).

السماء إلا إذا تلبَّدت بالغيوم السوداء، ولا يعرف في الناس إلا عيوبهم، ولا يتذكَّر عنهم إلا سقطاتهم؟!

فمن أحب أن تدوم له المودة فليحفظ مودة إخوانه القدماء[1]، فلا يرعى الودّ القديم إلا الكريم[2].

ولما جفاني من أحب وخـــــانني
حفظت له الود الذي كان ضيعــــا

ولو شئت قابلت الصدود بمثلـــــه
ولكنني أبقيت للصلح موضعـــــا

وقد كان ما قد كان بيني وبينـــــه
أكيـدًا ولكـني رعـيت وما رعـــى

سـعى بيننـا الواشـي ففـرق بيننـــا
لك الذنب يا من خانني لا لمن سعى[3]

(١) آداب الصحبة لعبدالرحمن السلمي (١/ ٦٧) من قول أبي محمد المغازلي.
(٢) الوافي بالوفيات لصلاح الدين بن أيبك الصفدي (٤/ ٢٩١).
(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (٢/ ٢٦٥) وذيل مرآة الزمان لأبي الفتح اليونيني (١/ ٧٩) للبهاء زهير.

كتب إبراهيم بن عبدالله اليقطيني إلى محمد بن ثوابة: إن كان ما أسخطك أعزك الله من جرمي دون مقدار حرمتي، فالصفح عنه واجب لي، وإن كان موازيًا فالحسنة تذهب السيئة، وإن كان فوقه فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. والفضل أعلى منزلة من الحق، وأولى بأهل الفضل والمجد[1].

فما أقبح الجفا بعد الصفا، وأشنع الإدبار عقب الإقبال، وما أسوأ النكران بدلاً عن الإحسان!

خـــانَ أَخِـلاَّئِي وما خُنْتُهُـــمْ
وأَبْـرَزُوا للشـرِّ وجهًـا صَفِيقْ
وكُـدِّرَ الـودُّ القديـمُ الـــذي
قد كان قِدْمًا صافيًا كالرحيق
وباعدونـي بعـد قُرْبـي لهُـــمْ
وَحَمَّلُـوا قلـبيَ ما لا أُطِــيق[2]

(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ٤٥٨).
(٢) خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الكاتب الأصبهاني (٢/ ٣٨٣) لتقية بنت غيث.

هل فتّشت في نفسك؟

إن من الخصومات ما يفسد على الإنسان دنياه وأخراه، ويجلب له العقوبات في العاجلة والآجلة، ويكون سببًا في تنغيص عيشه وتنكيد حياته.

قال الله ـ تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الروم:٤١].

ولو أن كلَّ متخاصمين بحثا عن السبب الحقيقي في الخصومة لوجدا ـ على الحقيقة ـ أن الذنوب سبب للكروب، وأن فسادًا دبَّ في القلوب أجلب فسادًا في العلاقات والمعاملات.

فكم من شريكين كانا في وفاق جميل وتناسق قوي وتعاون مثمر، فتغلغل الحسد إلى قلبيهما أو لأحدهما فكانت الخسارة في التجارة ثمرة المرض المعطب!

وكم من جارين متجانسين أمحلت أرض علاقتهما،

فصارت يبابًا خرابًا لدسيسة سوء وقعت بينهما!

وكم من محبة ومودة كانت بين زوجين متآلفين حتى تكاثرت الذنوب منهما أو من أحدهما فافترقا، لأنهما أسخطا مولاهما بمعصيته ومخالفة أمره، فأسخطهما من بعضهما وكدَّر عليهما عيشهما، فانظر كيف جمعتهما الطاعة وفرَّقتهما المعصية، وصدق الله القائل: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: ١٢٤].

وكم من فتور في العلاقة بين زوجين متحابين وكان تأخير الصلاة عن وقتها سببًا له؟!

وكم كانت صحبة أصدقاء السوء سببًا في جلافة الطبع وسلاطة اللسان وسوء الخلق!

وكم كان تقليب الطرف بالنظرات المحرمة سببًا في تكدير العيش وضيق الصدر وكآبة النفس وانقباض الفؤاد!

وكم من لقمة محرمة كانت سببًا في الخسارات الفادحة والمخازي الفاضحة!

وكم من عقوق للوالدين كان سببًا في عقوق الأولاد وجحودهم!

وكم من معصية جَرَت في خلوة كانت سببًا في تقابض القلوب وتضارب الآراء!

وكم من رجل كان عزيزًا منيعًا غدا ذليلاً وضيعًا من جرَّاء معصيته لله ورسوله ﷺ!

وهكذا جرت سُنَّة المجازاة، فالبر لا يبلى والإثم لا ينسى! ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠].

فمن أنفسنا يُسلَّط علينا، ومن ذنوبنا نؤتَى، ومن خطايانا يُمكَّن من رقابنا، قال الله ـ تعالى: ﴿فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

أغلظ رجل لوكيع بن الجراح فدخل وكيع بيتًا، فعفر

وجهه بالتراب ثم خرج إلى الرجل، فقال: زد وكيعًا بذنبه، فلولاه ما سلطت عليه[١].

واستطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود فقال: أستغفر اللهّ من الذنب الذي سلطت به عليّ[٢].

وقال بعض السلف: إني لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق امرأتي ودابتي[٣].

فإذا أصلحت فيما بينك وبين ربك وأنت تحت سلطانه أصلح الله فيما بينك وبين من تحت سلطانك من زوجة وولد ودابة[٤].

وما من قطيعة تكون بين اثنين إلا كانت بسبب ذنوبهما وتقصيرهما في حقِّ ربِّهما فخالف الله بين قلبيهما بما كانا يعصيان.

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (١٣/ ٤٤٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/ ٥٠٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ١٥٥).
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ١٢٠).
(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، بتحقيق أبي حذيفة عبيدالله بن عالية، ص ١٤٣.
(٤) الجواب الكافي لابن القيم ص٥٥.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما توادَّ اثنانِ في الله فيفرَّقَ بينهما إلا بذنبٍ يُحدِثِهُ أحدهما**»[1].



(١) أخرجه أحمد في المسند، وأبو نعيم في الحلية، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٣٣) (٦٣٧).

أين حسن الظن بالمؤمن؟!

إن من أسلحة الشيطان الحداد وعُدَّته الشِّداد لإيقاع العداوة بين الناس؛ سوء الظن من بعضهم لبعض، فالبعض من الناس يعيش نظرية المؤامرة في كلِّ تفاصيل حياته، فلو أنه عطس لظنها من كيد أعدائه به ومكرهم له وتدبير المؤامرات عليه، فهو يعيش في وهم التخيُّل فينسج حول نفسه خيوط الأوهام وتخاليط الأحلام ليكون في النهاية ضحيتها كدودة القز تنسج خيوطها حولها حتى تقتلها، ومبعث الحياة في مثل هذا الجحيم الأليم هو سوء الظن بالناس واعتقاد الفساد التام بهم والخبث المتمكن منهم، وكأنما لا خير فيهم ألبتة، ولا أمل في استصلاحهم إطلاقًا، لأنهم في نظره من جند إبليس وأعوان الشيطان فهم يعملون عنه بالوكالة، وربما يبعد النجعة أكثر ويقول بأن الشيطان يتتلمذ في مدارسهم ويعمل بين أيديهم، ويسترسل في أفهامه المغلوطة وخيالاته الخاطئة وكأنها الحق الذي لا مرية فيه والصدق الذي لا شكَّ معه.

قال الله ـ تعالى: ﴿لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وقال ـ تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقال ـ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ...﴾ [الحجرات: ١٢].

قال أكثم بن صيفي: من جعل لنفسه من حسن الظن بإخوانه نصيبًا أراح قلبه[١]، فإنَّ حسن الظن يقطع عنك نَصَبًا طويلاً، وإن أحق من حَسُنَ ظنُّك به لَمَن حَسُن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده[٢]، فخذ من حسن الظن بطرفٍ تروح به قلبك وتروج به أمرك[٣]. وقارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تَبِن منهم، ولا يغلب عليك سوء الظن، فإنه لا يدع بينك وبين خليل صلحًا[٤].

(١) الأمثال لابن سلام (١/ ٣٤).
(٢) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ٨٠) جواهر الأدب لأحمد الهاشمي (١/ ١٠٥).
(٣) نثر الدر للآبي (١/ ٧٤).
(٤) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ٣٨٢).

قيل لعالم: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء فعله(١).

حسِّن الظن تعش في غبطة
إن حسن الظن من أوقى الجنن
من يظن السوء يجزى مثله
قلما يجزى قبيح بحسن(٢)

إن الواجب المتحتم على كلِّ مسلم أن يسيء الظنَّ بنفسه ويتهمها بالسوء ويضيِّق عليها مسارب الظنِّ القبيح وأن يؤاخذ نفسه قبل أن يؤاخذ غيره، وأن يحسن الظنَّ بأخيه المؤمن ليعيش في سلام ويحيا في وئام.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إيَّاكُم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابرُوا، ولا تبَاغَضُوا، وكونوا عِبادَ الله إخوانًا**»(٣).

---

(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ٢٠٤).
(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للتلمساني (٥/ ٥٧٦).
(٣) صحيح البخاري (٧/ ١١٦) (٦٠٦٤).

إلى متى الحزن؟

إن من غايات الشيطان الغالية؛ أن يجلب الحزن للمؤمنين، وأن يكدِّر عيشهم، ويُعكِّر صفوهم، ويضيِّق عليهم مسارب الحياة، ويسحق راحتهم تحت قبضة الأحزان، ويُطبق على صدورهم بِالْهَمِّ والغمِّ حتى الاختناق، ويُقلِّبهم فوق صفيح ساخن من المشكلات والقلاقل حتى الاحتراق، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء ليوقعهم في البأساء والضراء.

فكيف للمؤمن أن ينعم بصلاته أو يخشع في تلاوته أو يقبل بقلبه على ربِّه وقد ملئ قلبه ـ حتى الثمالة ـ بالأكدار والأقذار والتنغيصات؟!

وكيف يُفكِّر في تخطيط مستقبله، وهو ما زال يتخبَّط في أوحال ماضيه؟

وكيف ينعم ببرد الطاعة وحلاوة الذِّكر ونعيم المناجاة، وقلبه أضيق من خُرم الإبرة، ونفسه مظلمة كالليل من شدَّة ما وجد من موجِدة على قريب أو حبيب؟

وكيف يتفرَّغ للعمل الصالح ويتزوّد من العبادة، وهو لا يجد وقتًا إلا أفناه في ملاحقة غريمه ومطاردة خصيمه؟

وكيف يجد وقتًا للفرح، وقلبه مليء بالأحزان؟!

قال الله ـ تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [سورة المجادلة: آية ١٠].

إن العداوة المتَّصلة والخصومة المستمرة بين بني الإنسان من أعظم وسائل الشيطان في جلب الهمِّ والغم، والكمد والنَّكد، والتنغيص والأحزان لبني آدم، فلماذا نُسلِم أنفسنا لعدوِّنا ليسومنا سوء العذاب؟

لماذا نمضي في أعمارنا ونحن لا نعرف من السعادة إلا نشوة الانتصار في الصراعات الدائمة؟

لماذا نحيل حياتنا لمعركة ضارية نطعن فيها الراحة والسماحة بخنجر الجفاء والقسوة، لنلتفت كالبلهاء ونتساءل في غباء: لماذا لم نكن سُعداء؟

❁ جراحنا ـ أيها السادة ـ لا تنطق إلا بالألم، ودموعنا لا تبوح إلا بالحُرقة، وآهاتنا لا تعرف إلا اللوعة، أفلم يأن لنا أن نُفيق، فنستبين الطريق، لنعلم أن الخصام لا يُنتج إلا الآلام، والصراع لا يُثمر إلا الأوجاع، والفتن لا تمور إلا بالحزن؟!



لماذا تنكر اللسع منها؟

ماذا تقول لمن مضى إلى فلاة واسعة الأنحاء شاسعة الأرجاء بلا طعام أو شراب أو كساء؟ وماذا تقول عن آخر ذهب إلى أرض مسبعة بلا سلاح يحميه أو نصير يعينه ويواسيه؟ وماذا تقول عن ثالث مشى على أرض مليئة بالشوك والأذى حافي القدمين ممحل النعلين؟

ربما تزداد حيرتك إذا علمت أن هؤلاء وغيرهم ممن هم على شاكلتهم يتساءلون: لماذا يقع علينا الأذى؟ ولماذا نتعرَّض للسوء؟

هذا مثل من أراد أن يدخل إلى الدنيا ثم يخرج منها دون أن يطاله الأذى أو تنال منه العدى، أو تمسَّه الدنيا بنُصب وعذاب!

هذه الدنيا بكلِّ اختصار؛ دار بلاء وعناء واختبار!

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدها

صفـوًا من الأقـذاءِ والأكـدارِ

ومكلِّف الأيَّـامِ ضـدَّ طباعها
متطلِّـبٌ في المـاءِ جـَذوةَ نـارِ
وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنَّـما
تبني الرجاءَ على شفيرٍ هـارِ[1]

فهي سجن المؤمن وجنَّة الكافر، ومن أراد أن يكون في راحة دائمة وسعادة ملازمة وهناء لا تعكير فيه، ورضى لا سخط معه، فليبحث عنها في غير هذه الدنيا، فمن سرَّه منها زمن ساءته أزمان، ومن ضحك فيها اليوم فلينتظر نصيبه من دموعها غدًا، ومن دنت له بمتعتها بالأمس فإنها لتدنيه من شقوتها وهو مُبلِس، فإنها لم تصفُ لمن هو خيرٌ منه، بل كان أكثر الناس منها عناء وفيها بلاء هو خير من وطئها بقدمه وسار في فجاجها برجله ﷺ.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أوذي أحدٌ ما**

(١) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٤٧) الوافي بالوفيات لصلاح الدين بن أيبك الصفدي (٧/ ٤٣) دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخرزي (١/ ١٧) من شعر أبي الحسن التهامي.

أوذيتُ في الله»[١].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أوذيَ أحدٌ ما أوذيتُ**»[٢].

وهكذا الأنبياء دواليك الأمثل فالأمثل!

ومن أعظم البلاء فيها؛ البلاء بأهلها، ففيهم الموافق والمخالف، والموالي والمعادي، والمُحق والمبطل، والمحبّ والمُبغض، والطيّب والخبيث، وأنت وهم في بلاء دائم وامتحان مستمر، ولا بُدّ لك من كلِّ بحر قطرة، ومن كلِّ بئر نزعة بدلو، ومع كلِّ صنف منهم تعامل، فماذا أنت فاعل؟

هل تنزوي عنهم في شاهق عال أو في وادٍ سحيق أو في فلاة بعيدة أو في صومعة قصيَّة أم تخالطهم وتصبر على أذاهم وتعاملهم بنفسك وبدنك وتُحلِّق في سماء الفضائل بخلقك وقيمك؟

---

(١) أخرجه الديلمي، وأبو نعيم في الحلية، انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٥٩) (٢٢٢٢).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل، وابن عساكر، انظر: صحيح الجامع (٢/ ٩٧٥) (٥٥٦٧).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»**[1].

وعنه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنُ الذي يُخالطُ الناسَ ويصبر على أذاهم، أعظمُ أجرًا من المؤمنِ الذي لا يُخالط الناس، ولا يصبر على أذاهُم»**[2].

الـق العـدوّ بوجه لا قطـوب بـه
يكـاد يقطـر من مـاء البشـاشـات

فأحزم النّاس من يلقى أعــاديه
في جسم حقـد وثوب من مـودّات[3]

وليس الشأن في التعامل مع الموافق المحب المحق، فكلُّ الناس يحسنه، وإنما العناء في التعامل مع من شرُّه أكثر من خيره، وضرّه أقرب من نفعه، وأذاه أسرع من نُعماه! وهذا دور المداراة!

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٠٦) (٢٠٣٥).
(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٧٣) (٣٢٥٧).
(٣) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (٢٢٣) من شعر القاضي التنوخي.

ما دمتَ حيًّا فدارِ النـاس كلّهـم
فإنـــما أنــت فـي دار المــداراة

فلا يُعقل أن نقضي الحياة من شروقها لغروبها لنصطلي من حروبها ونمضي في دروبها في صراعات طاحنة وخصومات بغيضة لتستوعب أوقاتنا وأقواتنا وراحتنا وسعادتنا، أليس من حَلٍّ؟ بلى! وإنه لأمر يسيرٌ ويدفع عنا من الشرِّ الكثير؛ إنها المداراة!

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إنّ رجلاً استأذنَ على النبي ﷺ فلمّا رآه، قال: «**بئس أخُو العشيرةِ، وبئسَ ابنُ العشيرةِ**». فلمّا جلسَ تطلَّقَ النبي ﷺ في وجههِ وانبسطَ إليهِ فلماَّ انطلقَ الرَّجُلُ، قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرَّجلَ قلتَ لهُ كذا وكذا، ثمَّ تطلَّقتَ في وجههِ وانبسطت إليهِ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشةُ متى عهدتني فاحِشًا؟ إنَّ شرَّ النَّاسِ عند الله منزلةً يوم القيامةِ من تركهُ النَّاسُ اتِّقاء شرِّهِ**»[1].

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ١٠٧) (٦٠٣٢).

إِنـي أَحــيى عَـدوى عِنـدَ رُؤيَتِــهِ
لأَدفَــعَ الشَــرَ عَـنى بِالتَحيــاتِ

وَأُظهِر البَشــرِ لِلإِنســانِ أَبغضــهُ
كَــأَن قَــد مَلا قَلــبي مَــرَّات

وَلسَت أَسلَمَ مِمَن لَستَ أَعرِفُهُ
كَيـفَ أَسـلَم مِن أَهـلِ العَداوات

النـاسُ دَاء دَواءِ النـاسِ تَركُهُــم
وَفي الجَفـاءِ لَهُـم قِطَـعُ الأَخـواتِ

فَسـالِمِ الناسَ تَسـلَم مِن غوائِلِهِــم
وَكُن حَريصًا عَلى كَسبِ المَوَّداتِ

وَخالِق الناسَ وَاصبِر ما بُلَيتَ بِهِـم
أَصَــمٌ أَبكَــمٌ أَعـمى ذا تقيَّـات[1]

(١) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١/ ٤٧٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لأبي الفضل اليحصبي (١/ ٢٦٦) الطيوريات لأبي الحسين الطيوري الحنبلي (٣/ ١٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٤/ ٥) من شعر هلال بن العلاء الرقي.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنا لنكشر - أي نضحك - في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم[1].

فلا تستغرب وقوع الأكدار، ما دمت في هذه الدار[2]، فمن يده في سلة الأفاعي كيف ينكر اللسع منها؟![3]



(١) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (١/ ٦٤) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٩٨) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٣/ ١٥٩) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٣٥٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (٢/ ٢٧٩).

(٢) بدائع السلك في طبائع الملك لأبي عبدالله بن الأزرق الأندلسي (١/ ١٦٢).

(٣) الثبات عند الممات لأبي الفرج بن الجوزي (١/ ٢٦).

هل لابد من العداء؟

هل يستلزم من خلافنا أن نفترق، فنصبح أعداء، يجفو بعضنا بعضًا؟

لماذا يتسلَّل الخلاف إلى دواخلنا فتمتلئ نفوسنا بالحقد والبغض والضغينة؟

لماذا نعطي الأشياء أكبر من حجمها، فتحتوينا المشكلات بدلاً من أن نحتويها، ونصبح صرعى لأحقادنا وأدواء قلوبنا؟

إن الاختلاف في الرأي والخلاف على المصالح لا يعني أن نغدو كوحوش ضارية في غابة موحشة، فتتقطّع صلاتنا كُلّما تقاطعت مصالحنا، ونتهاجر كما يفعل الأعداء، ونتدابر كالقمرين المتعاقبين وكأنما دنيانا التي تتحكَّم فينا وتسيطر علينا فنوالي من وافقنا فيها وسار في ركابنا، ونعادي كلَّ من خالف رأينا وتعارض مع ما نراه من ممتلكاتنا، فيصبح الإنسان رهين مصالحه وحبيس أوهامه وأسير أطماعه وسجين شهواته.

ألا يحسن بنا أن نختلف دون أن تقطَّع صلاتنا وتبتر وشائجنا وتنتهي علاقاتنا؟!

إن الدنيا لا تساوي أن نتصارع من أجلها ونتهاجر على لعاعها ونتقاتل على أطماعها، فهي كالجيفة المنتنة فلماذا التهارش عليها؟

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها
وسيق إليَّ عذبها وعذابها

فلم أرها إلا غرورًا وباطلاً
كما لاح في ظهر الفلاة سرابها

وما هي إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهن اجتذابها

فإن تجتنبها عشت سلمًا لأهلها
وإن تجتذبها ناهشتك كلابها[1]

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحي العكري الحنبلي (٢/ ١٠) حياة الحيوان الكبرى للكمال الدميري (١/ ٢٩٥) إيقاظ الهمم شرح متن الحكم لابن عباس بن عجيبة الفاسي (١/ ٢٤)

قال أحمد بن عمار: خرجنا مع المعلم في جنازة ومعه جماعة من أصحابه فرأى في طريقه كلابًا مجتمعة، بعضها يلعب مع بعض، ويتمرغ عليه، ويلحسه، فالتفت إلى أصحابه فقال: انظروا إلى هذه الكلاب ما أحسن أخلاق بعضها مع بعضٍ! قال: ثم عدنا من الجنازة وقد طرحت جيفة، وتلك الكلاب مجتمعة عليها وهي تتهارش، بعضها على بعض فيخطف هذا من هذا ويهرُّ عليه وهي تتقاتل على تلك الجيفة، فالتفت المعلم إلى أصحابه فقال لهم: قد رأيتم يا أصحابنا متى لم تكن بينكم الدنيا فأنتم إخوان، ومتى ما وقعت الدنيا بينكم تهارشتم عليها تهارش الكلاب على الجيفة(١).

فهل نقول بعقل من يُعرِّض نفسه لغضب الله ـ تعالى ـ من أجل جيفة قذرة لا تساوي في ميزان الله ـ تعالى ـ شيئًا مذكورًا؟

وهل من المعقول والمقبول أن تُعرِّض نفسك للإثم الكبير والمآل الخطير من أجل شيء حقير؟!

للإمام الشافعي.
(١) مختصر تاريخ دمشق (١/ ٣٧٨).

فعن أبي خراش السلمي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَن هجرَ أخاه سنة، فهو كسفك دمه**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار**»[2].

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من هَجَرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ فهو في النارِ، إلا أن يتداركَهُ الله برحمته**»[3].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لو أنَّ رجلينِ دخلا في الإسلامِ فاهتجرا؛ لكانَ أحدُهما خارجًا من الإسلامِ حتَّى يرجعَ**»[4]، يعني: الظالم.

فإن كانت هذه النصوص الصحيحة والصريحة لا تُحرِّك

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٨) (٤١٠٧).
(٢) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٨) (٤١٠٦).
(٣) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٥١) (٢٧٦١).
(٤) أخرجه البزار في مسنده، انظر: السلسلة الصحيحة (٧ـ ٢/ ٨٦٧) (٣٢٩٤).

في قلبك ساكنًا، فاسأل الله أن يُسكن الإيمان قلبك أو يرزقك قلبًا فإنّه لا قلب لك!

يأبى عليك إيمانك أن تُعرِّض نفسك لهذه الخطورة المتناهية، وتريد أن تؤوب إلى أخيك وتعود إليه لترجع مياه الوصل الرقراقة في مجاريها وتجري في مساقيها، ولكنَّك تخشى من صدِّه وردِّه، فيجافيك بعد إقبالك ويُقصي نفسه عنك بعد أن تمدَّ له بوصلك وفضلك، فتقعد بك فكرة التردد وتحول بينك وبين خطرات المسامحة وخطوات المصالحة.

إذًا فاعلم ـ يا باغي الخير ـ أنك إذا تقحَّمت العقبة وتجاوزت التردد وأقبلت عليه ثم أدبر عنك كنت خير الاثنين وأفضل الخصمين وأولاهما برحمة أرحم الراحمين وبرئت الذِّمة وأمنت التبعة وسلمت من العقوبة وفزت بالأجر العظيم والثواب الكريم.

فعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَحِلُّ لِمسلِمٍ أن يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ، يلتَقيانِ فَيَصُدُّ هذا ويَصُدُّ هذا، وخَيرُهُما الذي يَبدَأُ بِالسَّلامِ**»[1].

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ١٦٦) (٦٢٣٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة، فإذا لقيه سلّم عليه ثلاث مرارٍ كلُّ ذلك لا يرُدُّ عليه، فقد باء بإثمِه**»[1].

وعن هشام بن عامر الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يصارم مسلمًا فوق ثلاث، فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما، وإن أولهما فيئًا يكون كفارته عند سبقه بالفيء، وإن ماتا على صِرامهما لم يدخلا الجنة جميعًا أبدًا، وإن سلَّم عليه فأبى أن يقبل تسليمه وسلامه، رد عليه الملك، ورد على الآخر الشيطان**»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحل الهجرة فوق ثلاثة أيام، فإن التقيا فسلم أحدهما فرد الآخر اشتركا في الأجر، وإن لم يرد برئ هذا من الإثم وباء به الآخر، وإن ماتا وهما متهاجران لا يجتمعان في الجنة**»[3].

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٨) (٤١٠٥).
(٢) صحيح الأدب المفرد ص (١٥٨) رقم (٣١١).
(٣) رواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٢) (٢٧٦٠).

وعزاؤك أن الله ينظر إليك، ويطَّلع عليك، ويعلم بحالك ومقالك، وعليه جزاؤك، ومنه ثوابك، فإذا وجدت الله، فمن فقدت؟ وإذا أرضيت الله فمن خسرت؟ وإذا آواك مولاك فمن في الكون يجفاك؟



أليس لك في المداراة مخرج؟

أقف إجلالاً لمن يُجِلُّ نفسه عن تتبُّع عثرات الناس، ويرفع من قدر نفسه بعدم السقوط في سوءة المماحكة للخلق في سقطاتهم، فهو يرى نفسه - من غير كبر - أكبر من التَّصيد للأخطاء والبحث عنها، وأشرف من التفتيش عن زلاَّت الناس ورصدها، وأكرم من البحث عن عيوبهم وعدِّها حتى لا يُفسِدهم ويفسد قلبه عليهم.

فعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنكَ إن اتبعتَ عورات الناس أفسدتَهُم أو كِدتَ تُفسِدهُم**»[1].

وفي النفس شغلٌ عن كلِّ شغل، فهو مشغول بنفسه المقترنة بالذنوب والعيوب تهذيبًا وتأديبًا، وبربِّه الذي عافاه مما ابتلى به كثيرًا من الخلق غيره تعبدًا وتقرّبًا، فهو يعرض عن كلِّ خطيئة وقعت عليه في ذات نفسه وكأنه لا يراها، وقد تكون أشعلت عليه جذوة من قبس في قلبه، وألهبت جمرة

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٤) (٤٠٨٨).

من نار في صدره، وسرت بها لهبًا حارقًا في كلِّ أوردته، لكنَّه غضيض الطرف عن الزلاَّت، أصمَّ السمع عن السوءات، فإن من أكرم أخلاق الكبار؛ التغافل!

قال أبو بكر ﵁: فاز بالمروءة من امتطى التغافل، وهان على القرناء من عُرف باللجاج[1].

أعرض عن العوراء إن أسمعتها
واسكت كأنك غافل لم تسـمع[2]

قال الحارث: إن في الحق مغضبة، والسرور التغافل[3]، وقالت العرب: الشرف التغافل[4]، وقالت الحكماء: السؤدد

---

(١) ربيع الأبرار لأبي القاسم الزمخشري (١/ ١٤٧) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٥٤) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة لمحمد بن أمين المحبي (٤/ ٢٢١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢/ ٢٢٣) طبقات الأولياء (١/ ٥٨) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٤٤٠) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحي العكري الحنبلي (٢/ ٢٢٦).
(٢) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٥٤).
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ٩٩).
(٤) بدائع السلك في طبائع الملك لأبي عبدالله بن الأزرق الأندلسي (١/ ١٢٩) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري(١/ ٣٢٧).

التغافل[1]، وقال إياس: المصلحة التغافل[2]، فعظموا أقداركم بالتغافل[3].

عن عثمان بن زائدة قال: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل، فحدثت به أحمد بن حنبل، فقال: العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل[4].

وإني لأغضى عن أمور كثـــيرة
ومن دونها قطع الحبيب المواصـل
وأعرض حتى يحسب الناس أنني
جهلت الذي آتى ولست بجاهـل[5]

وقال أبو العباس السفاح أول ملوك بني العباس: التغافل

---

(١) ربيع الأبرار لأبي القاسم الزمخشري (١/ ٤١٧).
(٢) المختصر في أخبار البشر لإسماعيل بن علي أبي الفداء (١/ ٥١).
(٣) بدائع السلك في طبائع الملك لأبي عبدالله بن الأزرق الأندلسي (١/ ١٢٩) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي (١/ ٧).
(٤) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (٢/ ٨٣) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب لمحمد السفاريني الحنبلي (٢/ ٣١١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين التميمي الداري الغزي (١/ ٢٦٩).
(٥) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٥٤).

عن ذنوب الناس وعيوبهم من أخلاق الكرام، والتهاون بمفاضحتهم من أخلاق اللئام"[1].

ومن لا يغمض عينه عن صديقـــه
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

أغمض عيني عن صديقي تغافـلاً
كأني بما يأتـي من الأمـــر جاهـل"[2]

قال الله ـ تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف ٩٩] أي خذ الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم، فما استقصى كريم قط حقه!

تغافـل فـي الأمـور ولا تكـثر
تقصـيها فالاستقصاء فرقـــة

وسامح في حقوقك بعض شيء
فما استوفى كريم قط حقـــــه"[3]

(١) اللطف واللطائف لأبي منصور الثعالبي (١/ ٣).
(٢) بدائع السلك في طبائع الملك لأبي عبدالله بن الأزرق الأندلسي (١/ ١٣٠).
(٣) بدائع السلك في طبائع الملك لأبي عبدالله بن الأزرق الأندلسي (١/ ١٣٠).

وقال أكثم بن صيفي: من شدد نفَّر، ومن تراخى تألَّف، والشرف في التغافل[1].

تَغافَل إذا رُمتَ وُدَّ الـــورَى
يدُوم فتُصبحُ لِلْعزِّ جـــارَا
زمامُ المُروءةِ في كَـفِّ مــــَن
تَغافُله يمتطِي حيثُ ســـارَا[2]

فصاحب المروءة يترفَّع عن كلِّ كلمة عوراء كأن في أذنيه وقرٌ عنها، وكأنما المقصود بها سواه، وربما يضع أصبعيه في أذنيه ويستغشى ثيابه لكي لا تفسد عليه قلبه، وتوغر على أخيه صدره.

وأغضي عن العوراء حتى يقال لي
بأذنيه وقــر عندهـا حـين ينطـــق

حيـاء وإكـرامًا لـعرض أصونــه
ولا خـير في عرض يظـلّ يمــزق[3]

---

(١) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٢٢٢).
(٢) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة لمحمد بن أمين المحبي (٤/ ٢٢١).
(٣) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٥٤).

وليت البعض منا يسمع الكلمة الطيبة كما يسمع الخبيثة، ويرى الحسنة كما يبصر السيئة، إذًا لانتصف من نفسه وأنصف غيره!

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه
كـأن به عن كـل فاحشـة وقـرا

سليم دواعي الصبر لا باسـط أذى
ولا مانع خيرا ولا قائـل هجـرا[1]

لقد حاز بالعقل الراجح والسهم الرابح في الخلق من غضَّ طرفه عن هفواتهم، وتخلَّص من خصوماتهم بمداراتهم، وتظاهر بالجهل وتصنَّع التغابي ليداري الناس في دنياهم.

تغافلت عن أشياء منه وربـما
يسرك في بعض الأمور التغافل[2]

وهذا كقول بعض الحكماء: الكرمُ مِكيالٌ ثُلُثاه التَّغابي[3].

---

(١) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٢٢٢).
(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (١/ ٣٦٦).
(٣) ريحانة الألباب وزهرة الحياة الدنيا لشهاب الدين الخفاجي (١/ ٣٥).

ليس الكريـمُ بسَـيِّدٍ في قومِـهِ
لكنَّ سـيِّدَ قومِـه المُتغابِـي[1]

إن من يتغافل عن أخطاء الناس ويُعرض عن سقطاتهم، ويحتمل منهم هفواتهم، ولا يشافه أحدًا بما يكرهه، أو يواجهه بذنبه، أو يجابهه بعيبه، يعيش هانئًا سعيدًا، ومن أوسع الناس صدرًا، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، وأوفرهم صديقًا.

ومن لم يغمض عينه عن صديقه
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتطلب جاهدًا كل عثرة
يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب[2]

ومن اشتغل بالخلق عن الخالق، واحتفل بعيب غيره عن عيب نفسه، وتتبع سقطات الناس سقط فيها ولو بعد حين!

فعن أبي برزة الأسلمي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) ريحانة الألباب وزهرة الحياة الدنيا لشهاب الدين الخفاجي (١/ ٣٥) ولأبي فِرَاس.
(٢) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب لمحمد السفاريني الحنبلي (٢/ ٣١١).

«يا معشرَ من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبِعوا عوراتهم؛ فإنه من تتَبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورتَه، ومن تتَبع الله عورته، يفضحُه ولو في جوف بيته»[1].

وعن ابن عباس ﵄ قال رسول الله ﷺ: «من سَتَرَ عورَةَ أخيهِ المُسلِم، سَترَ اللهُ عَورتَهُ يومَ القيامةِ، ومن كشَفَ عورةَ أخيهِ المُسلِم، كشفَ الله عَورتَهُ حتَّى يَفضَحَهُ بها في بيته»[2].

فتعامى، وتغابى، ودار، وجامل، وتغافل، فإنها المروءة في أبهى معانيها.



(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٣) (٤٠٨٣).
(٢) صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ٧٩) (٢٠٦٣).

هل حاسبت نفسك؟

قبل أن تنبس ببنت شفة أو تخطو بقدمك خطوة أو تُحدث في خصومتك بحركة، أرجو أن تقف مع نفسك لحظة محاسبة لتتساءل: هل هذه الخصومة ترضي الله - تعالى - عنك أم تسخطه عليك؟ هل هي مما تتقرَّب به إلى الله - تعالى - وتأمل أن تنال بها الجزيل من ثوابه والنجاة من عقابه؟ أو أنها موجبة للعذاب ومدنية للعقاب؟

وهل يسرُّك أن تراها في صحائفك يوم القيامة فتكون بها من الفائزين، أو ستقول في حسرةٍ مُرَّةٍ: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين؟!

بهذه الوقفة اليسيرة من المحاسبة للنفس تكون النجاة - إن شاء الله - من عذاب الله، فالمؤمن الحصيف قوَّام على نفسه بما كسبت، فيسُوسها ولا تسوسه، ويحكمها ولا تحكمه، ويأطرها على الحقِّ أطرًا، ويلزمها بالصدق قهرًا وقسرًا، ويجبرها على الجادَّة قبل أن ترديه في مساخط الله - تعالى - فتكون الحالقة!

والفاسق لا يلوي على شيء، فكلما دعاه داعيها إلى مغاويها أجاب الداعي وجدَّ في المساعي لتحقيق مراضيها، فكان العطب!

هذه الوقفة مع النفس في الدنيا ستُخفِّف عنك ساعة الوقوف بين يدي الله في يوم القيامة، وهذه الساعة من المحاسبة للنفس هنا ستعينك على ساعة المحاسبة في يوم الحسرة والندامة، فمن حاسب نفسه محاسبة الشريك الشحيح، وقال لها: لماذا هذا؟ ومن أين لك هذا؟ وجد جوابًا صوابًا يردُّ به على ربِّه يوم يقف بين يديه في يوم التغابن، ومن أطلق العنان لنفسه دون حساب وعقاب ألجمته الغفلة عن الجواب في يوم الحساب!

فالسَّاعة.. السَّاعة، قبل قيام الساعة!

قال الله ـ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

فانظر إلى ديوان أعمالك الآن وماذا دُوِّن فيه، قبل أن تُنصب

الموازين وتوضع الدواوين أمام عينك في يوم القيامة بكلِّ ما فيها من عُجرٍ وبُجر، وخيرٍ وشر، ونفع وضُر، وخصوصًا فيما يتعلَّق بحقوق العباد، فهي مبنية على المشاحَّة بخلاف الذي بينك وبين مولاك، فإنه مبنيٌّ على المسامحة، فالله غفور رحيم!

فعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الظلمُ ثلاثةٌ، فظلمٌ لا يتركه اللهُ، وظلمٌ يُغفر، وظلمٌ لا يغفر، فأما الظلمُ الذي لا يُغفر، فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلمُ الذي يُغفر، فظلم العبد فيما بينه وبين ربِّه، وأما الظلم الذي لا يُترَك، فظلمُ العباد، فيقتص الله لبعضهم من بعض**»[1].

فحاذر الغلط وجانب الشَّطط، وأنصف الناس منك، وأنصف نفسَك من نفسِك قبل أن تكون لها خصيمًا، فبين يديك المَقَاصَّة مع كُلِّ خصيم بموازين الذرِّ ومثاقيل الخردل، وعند الله يجتمع الخصوم!

فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتُؤدُّنَّ**

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٦٠) (١٩٢٧).

الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتَّى يُقادَ للشاةِ الجلحاءِ من الشاة القرناء»[1].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقضي الله بين خلقِه الجنِّ والإنسِ والبهائم، وإنَّه ليَقِيدُ يومئذ الجماء من القرناء، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إنَّ لي مملوكين؛ يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «يُحسَبُ ما خَانُوكَ وعصَوكَ وكذَبوكَ، وعقَابُكَ إيَّاهم، فإن كان عقابك إيَّاهم بقدرِ ذُنُوبهم كان كفافًا لا لكَ ولا عليكَ، وإن كان عِقابُك إياهُم دونَ ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابُك إيَّاهُم فوقَ ذُنُوبهم اقتُصَّ لهم منكَ الفضلُ».

قال: فتنحى الرجل، فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٥٨٥) (٢٥٨٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٦٠٦) (١٩٦٦).

ﷺ أما تقرأ كتابَ الله: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فقال الرجل: والله! يا رسول الله، ما أجد لي ولهم شيئًا خيرًا من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم"[١].

فتخفَّف من أحمالك، وقلِّل من أثقالك، فبين يديك يوم ثقيل!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحللهُ منها، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهم، مِن قبلِ أن يؤخذ لأخيهِ من حسناتِه، فإن لم يكن لهُ حسناتٌ أُخذ مِن سيِّئاتِ أخيهِ فطرحت عليهِ**»[٢].

وعن عبدالله بن أُنيس رضي الله عنه أنّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**يحشُر الله العبادَ يوم القيامة عُراةً غُرلاً بُهما**». قال: قلنا: وما بُهمًا؟ قال ﷺ: «**ليس معهم شيءٌ، ثُمَّ ينادِيهم بصوتٍ يسمعهُ**

(١) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٧٧) (٢٥٣١).
(٢) صحيح البخاري (٧/ ٢٥٢) (٦٥٣٤).

مَن بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُب: أنا الديَّان، أنا الملِك، لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار وله عندَ أحدٍ من أهل الجنَّة حقٌّ؛ حتى أَقُصَّهُ منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخلَ الجنّة ولأحدٍ من أهل النار عنده حقٌّ حتى أقُصَّه منه، حتى اللَّطمَةَ». قال: قلنا: كيفَ، وإنما نأتي عراةً غُرلاً بُهمًا؟! قال ﷺ: «الحسناتُ والسيِّئات»[1].



(١) رواه أحمد في المسند، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٧) (٣٦٠٨).

إذا وجدت الله، فماذا فقدت؟

إن المشكلة الكبرى في خصوماتنا مع بعضنا؛ أننا نتعامل فيها مع المخلوقين ونغفل عن التعامل مع أحسن الخالقين، وننصرف إلى العبيد مع انصرافنا عن العزيز الحميد، ونركن إلى الضعفاء الفقراء ونلتفت عن التعامل مع القوي الغني الذي له ميراث السموات والأرض!

قال الله ـ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

إن التعامل مع الله ـ تعالى ـ فوز، والمتاجرة معه ربح، والركون إليه فلاح، والاعتماد عليه نجاح، وإن أردت بحبوحة العيش في الدنيا والرضا في يوم القضاء، فَلْتَأْوِ إلى ركن شديد، ولتجعل مولاك منك على بال، ولتسعَ في رضاه، ولتبشر بالرضا والرضوان والسعادة والإحسان، فإن في الله عوض من كلِّ شيء، ولا يُعوِّض عن الله أيّ شيء، فإذا وجدت الله وجدت كلّ شيء، وإذا فقدت الله

فقدت كلّ شيء، وإن كان الله معك، فمعك الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل، وإن كان الله معك فمن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟

فاجعل الهمَّ همًّا واحدًا، وهو: ما الذي يرضي مولاي عني؟ وكيف يُحبُّني وليُّ نعمتي؟

فإن فعلت ذلك له وتركت من حقِّك لأجله وتنازلت عن خصومتك طلبًا لرضاه؛ صبَّ عليك الخير صبّا، وأدناك منه مودَّة وحُبًّا، وأسبغ عليك من حلل فضله نعمًا وقربا!

وقد صح عن نبينا ﷺ أنه قال: «**من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه**»[1].

وقال قتادة بن دعامة السدوسي: لا يَقْدِر رَجلٌ على حرام ثم يَدَعه ليس به إلا مخافة الله ﷻ إلا أبدله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خيرٌ له من ذلك.

وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه قال: ما من عبد ترك شيئًا لله إلا

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح، قاله الألباني في حجاب المرأة المسلمة (ص ٤٩).

أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به عبد فأخذ من حيث لا يصلح إلا أتاه الله بما هو أشد عليه"[1].

فهلاًّ تركت خصومتك من أجل الله، وطلبت بالتنازل عنها رضوان الله والجنّة، فإنك إن تركت من أجله وطلبًا لرضاه فلن يُضيّعك، ولن يحرمك خير ما ترجو بل وسيعطيك حتى يرضيك فوق ما ترجو، وأعظم مما تأمل، وأكرم مما تتمنَّى، فهو أكرم الأكرمين وأجود الأجودين.

قال الله ـ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ..﴾ [الطلاق:٢].

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الأعمال"[2]

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه،**

(١) تاريخ الملوك والأمم (٥/ ١٥٧) الكامل في التاريخ (٣/ ١٦٣).
(٢) تقريب كتاب اقتضاء العلم العمل - (١ / ١٩) والبيت ليحيى بن معين ونسبه الذهبي للأخطل في تاريخ الإسلام (١٠/ ١٧٣).

لعل الله أن يتجاوز عنا. قال فلقي الله، فتجاوز عنه»[1].

وعن أبي مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر. قال: قال الله ﷻ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه»**[2].

وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ ـ قال: ولا يكتمون الله حديثا ـ قال: يا رب! آتيتنى مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيسَّر على الموسر وأُنظر المعسر. فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي»**[3].

فهل رأيت كيف تجاوز الله عن حقوقه على عبده، لأنه

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٢١٤) (٣٤٨٠) وصحيح مسلم (٥/ ٣٣) (٤٠٨١).
(٢) صحيح مسلم (٥/ ٣٣) (٤٠٨٠).
(٣) صحيح مسلم (٥/ ٣٣) (٤٠٧٩).

كان يتجاوز عن حقوقه التي له عند غيره؟ فماذا بقي؟!
تجاوز عن حقِّك لتستحق التجاوز بفضل الله عن حقوق مولاك عليك، فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا في دنياه وعقباه، وما عند الله خيرٌ وأبقى، ولدار الآخرة خير، لو كانوا يعلمون!



هل وضعت نفسك في مكانه!

مع يقيني بأن الخطأ نسبي في كلِّ مشكلة، فلا يمكنني أن أُحمِّل أحد الطرفين كلَّ التبعات في كُلِّ القضايا إلا أنني سأفترض بأنك مظلوم وحقُّك مهضوم بنسبة كاملة، فماذا ينتظر خصمك منك؟

أستطيع أن أجزم بأن الذي أخطأ عليك وأضرَّ بك ينتظر منك عدلك قبل فضلك، وإنصافك قبل عطائك، وأن تُعامله بما أنت أهله من الفضل والبذل، وبما هو في حاجته من العفو والصفح، ولئن أخطأ عليك متعمدًا لكان له من إحسانك ما يشفع له عندك، وله مطمع في فضلك ما يتغمد إساءته، وفي كرمك ما يوجب التغافل عنه، فكيف ولعلَّه إنما حصل ذلك منه سهوًا وخطأً وظنًّا منه بأنه على حقٍّ وصواب، ولكي تشعر بمعنى حديثي أرجو أن تضع نفسك مكانه، وتتخيَّل ما في قلبه من لوعة، وتتصوَّر ما نفسه من تطلُّع، وافعل به ما ترجو أن يفعله بك، وأحسن إن الله يحب المحسنين!

قال الله ـ تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٤].

عن أبي المنتفق ـ من بني عنبر ـ رضي الله عنه قال: أتيت مكة، فسألت عن رسول الله ﷺ، فقالوا: هو بعرفة، فأتيته؛ فذهبت أدنو منه فمنعوني، فقال: «اتركوه». فدنوت منه، حتى إذا اختلفت عنق راحلته وعنق راحلتي، فقلت: يا رسول الله! نبئني بما يباعدني من عذاب الله، ويدخلني الجنة، قال ﷺ: **«تعبُد اللهَ ولا تشرك به شيئًا، وتقيمُ الصلاةَ المكتوبةَ، وتؤدِّي الزكاةَ المفروضة، وتصومُ رمضانَ، وتحجّ وتعتمرُ، وانظر ما تحبُّ من الناسِ أن يأتوه إليكَ؛ فافعله بهم، وما كرهتَ أن يأتوه إليكَ؛ فذرهم منه»**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أدِّ الأمانَة**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والدولابي في الكنى، انظر: السلسلة الصحيحة (٧ ـ ٣/ ١٤٥٩) (٣٥٠٨) وصحيح الجامع (١/ ٢٣٨) (١٠٣٩).

إلى من ائتَمَنَكَ، ولا تخن من خانك»[1].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صِل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك**»[2].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما ضممت إليَّ سلاح رسول الله ﷺ وجدت في قائم سيف رسول الله ﷺ رقعة فيها: «**صِل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحقَّ ولو على نفسِك**»[3].

ولن تكون مؤمنًا صادقًا حتَّى تُحبَّ الخير للغير، وتأمل لهم من الفلاح والنجاح ما تأمله لأحبِّ أحبابك وأقرب أصحابك، وليس هذا بمعجز على قلب الصادق، فصدر المؤمن يسع العالم أجمع، ولديه من الصفاء والنقاء ما يجعله

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٧٥) (٣٠١٩) صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٩) (١٠١٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في أخبار أصبهان، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٨٢) (٨٩١).

(٣) رواه أبو عمرو بن السماك في حديثه، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٤٢) (١٩١١).

كالسراج الوهَّاج يشيع بنوره في كلِّ الفجاج، ويحب لكلِّ الأنفاس ما يحبُّه لنفسه من النفائس!

فعن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1]، وفي رواية: (**من الخير**)[2].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **فمن أحبَّ أن يُزحزحَ عن النار ويُدخل الجنَّة، فلتأته منيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يُحبُّ أن يُؤتى إليه**..»[3].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[4].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١١) (١٣).
(٢) صحيح سنن النسائي (٣/ ١٠٣٢) (٤٦٤٤).
(٣) صحيح مسلم (٣/ ١١٧١) (١٨٤٤).
(٤) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٦٦) (١٨٧٦)، وقال الألباني: حسن.

ارض للناس جميعًا مثل ما ترضى لنفسك

إنما النـاس جمـيعًا كلهـم أبنـاء جنســك

غير عدل أن توخى وحشة الناس بأنسك

فلهم نفس كنفسك ولهم حس كحسـك[1]

(١) طبقات الشافعية الكبرى للكمال الدميري (٣/ ٢٨٤) لأبي سليمان الخطابى.

ألا نختلف ونأتلف؟

مادام الاختلاف بين الناس أمر جبلِّي تقتضيه طبيعة التكوين وتستلزمه صنيعة الكون كما قال الله ـ تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ...﴾ [هود: ١١٩].

فلماذا نجعل الاختلاف بيننا سببًا لاختلاف قلوبنا، وافتراق قوالبنا، وبوابةً للكثيرِ من المخازي بيننا، ومهادًا لفرقتنا وتقطّع صلاتنا؟

أليس هناك خيارات أخرى للتعامل مع الخلافات؟

أيعقل أنه ما من سبيل لنزع فتيل النزاع، وما من طريقٍ للهروب من الصراع؟

لماذا عند أيِّ بارقة خلاف بين أيِّ اثنين، نُساق ـ لزامًا ـ للاختلاف الحاد، والمطالبة العنيفة، والمخاصمة القاسية؟

لماذا يذهب القليل من الخلاف بالكثير من المحبَّة والكبير من الاحترام؟

لماذا نجاهر بالكراهية، ونغامر بالصراع؟

ألا يحسن أن نختلف ونأتلف في آنٍ واحد؟

أيعقل أن قضايانا لن تنتهي إلا بأن نخسر كلَّ شيء حتى لا يبقى لنا في قلوب بعضنا أي أثر من مودَّة أو أثارة من محبَّة؟

لماذا نحشر أنفسنا في الأركان الضيقة، ونرى الدنيا من زوايا حادّة؟

ألا يوجد خيارات أخرى ينتهي بها الخلاف بين المتخاصمين حتى لا نصل إلى القطيعة الفظيعة والمفضية إلى التدابر والتهاجر؟

ألا يمكن أن نُبقي أملاً في الرجوع أو موضعًا للصلح؟

هل يلزمنا أن نكون في أطرف الطرفين، فإمَّا حُبٌّ مُطبق أو كُرهٌ مُحرق؟

فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض**

بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[1].

فلماذا إذًا نُغرق في الخصومة، ولا نترك لذي أوبة مرجعًا، ولا للصلح الهنيء موضعًا؟

أسمع رجلٌ أبا الدَّرداء رضي الله عنه كلامًا، فقال: يا هذا، لا تُغرقن في سبِّنا، ودع للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه[2].

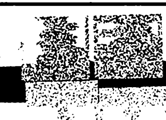
وقيل لأبي سفيان بن حرب: بم نلت هذا الشرف؟

قال: ما خاصمت رجلاً إلا جعلت للصلح بيننا موضعًا[3].

وأغضي على أشياء لو شئت قلتها
ولو قلتها لم أبق للصلح موضعــًا

---

(١) رواه الترمذي والبيهقي والدارقطني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ١٨) (١٧٨).
(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ـ ص ٢٢٩.
(٣) الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء لمحمود الجذبتي (١/ ٦٢) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ١٣٩) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي (١/ ٩).



وإن كان عـودي مـن نضـار فإنـني
لأكرمــه مـن أن أخاطــر خروعــًا[1]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يكن حبك كلفًا، ولا بغضك صلفًا[2]، فقال أسلم لعمر: وكيف ذلك؟ قال: إذا أحببت، فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبُّه، وإذا أبغضت، فلا تبغض بغضًا تُحبُّ أن يتلَفَ صاحبك ويهلك[3].

فهونــك في حــب وبغض فربمــا
يُرى جانب من صاحب بعد جانب[4]

وقال الحسن: تنقوا الإخوان والأصحاب والمجالس، وأحبوا هونًا، وأبغضوا هونًا، فقد أفرط أقوام في حبِّ أقوام فهلكوا، وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا، فلا تفرط في

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦/ ٨٤) أدب المجالس لأبي عمر القرطبي النمري (١/ ٨٢).
(٢) اعتلال القلوب للخرائطي ٣٢٧ (١/ ٣٨٧) ومصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ١٥٢).
(٣) شرح السنة للبغوي (١٣/ ٦٥).
(٤) الموشى لأبي الطيب الوشاء (١/ ١١) والبيت لأحمد بن يحيى لسعيد المساحقي.

حبك، ولا تفرط في بغضك، وإن رأيت دون أخيك سترًا فلا تكشفه"[1].

وكن معقلاً للحلم واصفح عن الخنا
فإنــك راءٍ مــا حــييت وســامع
وأحــبب إذا أحــببت حــبًّا مقاربــًا
فإنــك لا تــدري مــتى أنت نــازع
وأبغض إذا أبغضت بغضًا مقاربــًا
فإنــك لا تدري متى أنت راجــع"[2]

وقال معاوية لزياد حين ولاه العراق: يا زياد! ليكن حبك وبغضك قصدًا، فإن الغيرة كامنة، واجعل للرجوع والنزوع بقية من قلبك، واحذر صولة الانهماك فإنها تؤدي إلى المهالك"[3].

---

(١) شرح السنة ـ للإمام البغوى (١٣/ ٦٥) واعتلال القلوب للخرائطي (١/ ٣٨٤).
(٢) أمالي القالي لأبي علي القالي (١/ ٢٢٦) من قول هدبة بن الخشرم العذريّ.
(٣) سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (١/ ١٥٥).

وروي عن بعض الحكماء أنه قال: لا يفرط الأديب في محبة الصديق، ولا يتجاوز في عداوة العدو، فإنه لا يدري متى تنتقل صداقة الصديق عداوة، ولا متى تنتقل عداوة العدو صداقة[1].

قل لمن يعجب من حسن رجوعي ومقالي
رب صدٍّ بعد ودٍّ وهوىً بعد تقالي
قد رأينا ذا كثيرًا جاريًا بين الرجال[2]

وصدق، وبالحقِّ نطق، فكم رأينا، ورأينا!



---

(١) الموشى لأبي الطيب الوشاء (١/ ١١).
(٢) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (٤/ ١٦٧) من قول أبي العتاهية.

أليس فيك عيب؟

ويلٌ للنفس الأمّارة بالسوء، ما أقساها! وما أغفلها عن حقِّ مولاها!

تُشغل الإنسان بعيوب غيره وأخطاء سواه، حتى يغفل عن عيوبه وذنوبه، وتريه الذرَّة الصغيرة في صفحة أخيه، وهي أصغر من أن تُذكر، وتستر عنه المجرَّة من عيبه وهي تسدُّ عين الشمس، وأكبر من أن تُستر.

فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسى الجذع - أو الجدل - في عينه معترضًا»**[1].

فإني أرى في عينك الجذع معترضًا
وتعجب إن أبصرت في عيني القذا[2]

---

(١) رواه ابن صاعد في زوائد الزهد لابن المبارك وابن حبان في صحيحه وأبو نعيم في الحلية والقضاعي في مسند الشهاب، انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٤٢) (٣٣).

(٢) المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢/ ٢٣٦) من قول وضاح

قالت رابعة العدوية: الإنسان إذا نصح لله في نفسه، أطلعه الجبار على مساوئ عمله، فيتشاغل بها عن خلقه.

أرى كل إنسان يرى عيب غيره
ويعمى عن العيب الذي هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبــه
ويبدله بالعـيب عــيب أخيــه[1]

قال ابن عباس: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك، فاذكر عيوبك[2].

وقال أكثم بن صيفي: استر عيب أخيك، لما تعلم من نفسك.

وقالوا: أحمق الناس من أنكر من غيره ما هو مقيم عليه.

وقيل للربيع بن خثيم: مالك لا تعيب أحدًا؟ قال: لست عن نفسي راضيًا فأتفرغ لعيوب الناس ومذامهم.

بن إسماعيل.

(١) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٥٤).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (٢/ ٢٣٩).

وقالوا: من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون، ومن تتبع مساوئ العباد فقد نحلهم عرضه.

لا تكشفن من مساوي الناس ما ستروا
فيكشف اللهّ سترًا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحدًا منهم بما فيكا[1]

إنما لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، ولا يبحث عن عيوب الناس؛ إلا ذوو العيوب، وودوا لو كانوا سواء!

عاب رجلٌ رجلاً عند المأمون، فقال له المأمون: قد استدللنا على كثرة عيوبك بما تذكر من عيوب الناس، لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما هي فيه لا بقدر ما فيه منها[2].

يمنعني من عيب غيري
الذي أعرفه عندي من العيب

(١) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٥٤).
(٢) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٥٤).

عيبي لهم بالظن مني لـــــهم
ولســت من عيبــي في ريـــب

إن كان عيبي غـــاب عنهـــم
فقد أحصى ذنوبي عالم الغيب[1]

والجزاء من جنس العمل، فمن ستر غيره ستره الله، ومن هتك ستر غيره ابتلاه به مولاه، جزاءً وفاقًا، وما ربُّك بظلام للعبيد!

روي عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ أنه قال: أدركت بهذه البلدة ـ يعني المدينة ـ أقوامًا لم تكن لهم عيوب فتكلموا في عيوب الناس فعُلمت عيوبهم، وأدركت أقوامًا كانت لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم[2].

ولئن كانت لك عين ثاقبة، تُبصر بها أخطاء غيرك،

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/ ٨٣).
(٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر لمحيي الدين العيدروس (١/ ١٩٩).

فللناس أعين يُبصرون بها أخطاءك، فقل: يا عين قد رأتك كلُّ عين!

إذا شئت أن تحيا ودينك سـالم
وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امـرئ
فعندك عورات وللناس ألسـن

وعينك إن أبدت إليـك معايبًا
لقوم فقل: يا عين للناس أعين[1]

وإذا ساءك من أخيك ما تكره، فهبه لما فيه من خير، فإن الشرَّ لا يجتمع بأطرافه في مسلمٍ أبدًا، وإذا رأيت فيه ما يسوء فاذكر ما فيك من تقصير، فإن كلَّ إنسان لا يخلو من عيب ولا يسلم من نقيصة، والكمال عزيز والتمام متعذِّر، فالتمس لأخيك العذر، وابحث له عن محمل في الخير، واصنع به في خطئه في حقِّك ما ترجو أن يفعله بك في خطئك، وكلُّنا ذو

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحي العكري الحنبلي (٣/ ٣٥٠) والأبيات للشافعي.

خطأ، فمستقلٌّ منا ومستكثر.

وتعذر نفسك إذا ما أسـأت

وغـيرك بالعـذر لا تعـــذر

وتبصر في العين منه القـذى

وفي عينك الجـذع لا تبصر[1]

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١ / ٣١٤)

أليس له في الخير محملٌ؟

إن من أعظم صفات الكبار؛ التماس العذر للمسلم في خطئه، واختلاق المعاذير له فيه، والبحث له عن مخرج ينجيه، وأخلاق العظماء تربأ بهم أن يتصيَّدوا الزلل ويبحثوا عن الخلل، ليجعلوه مطيَّتهم لإذلال غيرهم، أما السفهاء فيفرحون بالزلل من خصمائهم كفرحهم بضدِّه لهم، لينالوا منهم ما يشفي وحر صدورهم ويشبع غيظ قلوبهم، فتراهم ـ ويا لسوء ما ترى! ـ يشتغلون بالتناوش من مكان بعيد لحمل الكلام على محامل السوء بعد بذل الهمة في الترصد والتربص والبحث عن العثرات، والقلوب كالقدور تغلي بما فيها، وتفيض بما يختلج من خوافيها، فويلٌ لمن طُبعت نفوسهم على السوء والبحث عن العثرات، فإنهم إذا طاروا كانوا كالذباب لا يقع إلا على الخراب، وإذا ساروا فكالجعلان لا تقع إلا على الأنتان، وإن تخيَّروا فكالخنازير لا تَقُمُّ إلا النجاسات ولا تلم إلا الخبائث.

شر الورى بمساوي الناس مشتغل

مثل الذباب يراعـي موضـع العلل[1]

ولطالما رأينا من يختلق المحن ويفتعل الإحن، وفي المقابل لقلّما رأينا من يختلق المعاذير!

يمشون في الناس يبغون العيوبَ لمن

لا عيب فيه، لكي يستشرفَ العطبُ

إن يعلموا الخيرَ يخفوه، وإن علمـوا

شرًّا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبـــوا[2]

قال ابن مازن: المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم[3].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يأتيك على ما يغلبك عليه، ولا تظن بكلمة خرجت

---

(١) أبو الطيّب المُتنبي.

(٢) روضة العقلاء لأبي حاتم البستي (١/ ١٧٨) من قول ابن زنجي البغدادي.

(٣) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي (١/ ١).

من فِيِّ امرئ مسلم شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملا"[1].

وقال عمر بن عبدالعزيز: إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم، فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملا من الخير"[2].

وقال حمدون القصار: إذا زل أخ من إخوانكم فاطلبوا له سبعين عذرًا، فإن لم تقبله قلوبكم فاعملوا أن المعيب أنفسكم، حيث ظهر لمسلم سبعون عذرًا فلم تقبله"[3].

فإذا بلغك شيء عن أخيك فاحمله على أحسنه حتى لا تجد له محملا"[4].

إذا ما بدت من صاحب لك زلة

فكن أنت محتالا لزلته عذرا[5]

---

(١) طوق الحمامة في الألفة والألاف للظاهري (١/ ٣٠٩) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (٢/ ٤١٨) التدوين في أخبار قزوين لأبي القاسم الرافعي (١/ ٧٦) نثر الدر للآبي (١/ ١١٤).

(٢) تاريخ الخلفاء لابن أبي بكر السيوطي (١/ ٢٠١).

(٣) آداب الصحبة لعبدالرحمن السلمي (١/ ٤٥).

(٤) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (١/ ٣٧٥).

(٥) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٢٢٢).

إن من دلائل سلامة الصدر وطهارة القلب؛ أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرًا، فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك، فتقول لقلبك: ما أقساك! يعتذر إليك أخوك سبعين عذرًا فلا تقبله، فأنت المعيب لا أخوك[1].

فاحمل أخاك على ما تُحب أن يحملك لو كنت في مكانه، قبل أن تحتمل ظنك السيئ به في ميزان أعمالك، فيزعجك الحمل ويعجزك الاحتمال!

عن بكر بن عبدالله المزني، قال: احملوا إخوانكم على ما كان فيهم، كما تحبون أن يحملوكم على ما كان فيكم[2].

إن تجد عيبًا فسدَّ الخللا

جل من لا عيب فيه وعلا[3]

حكي عن بنت عبدالله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قومًا ألأم من إخوانك! قال: مه! ولم ذلك؟

---

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٢/ ١٨٥).

(٢) التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني (١/ ٥٣).

(٣) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ - (٧/ ٤٨٦) والبيت للحريري.

قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك.

قال: هذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم.

فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنًا، وظاهر غدرهم وفاء.

وهذا محض الكرم، ولباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم"[1].



(١) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٢٢٢).

أين القلوب الرحيمة؟

يا صاحب القلب الرحيم والطبع الكريم! أخوك أخطأ عليك وتعدّى على جنابك وتقحم حماك، فمن له ـ بعد الله ـ سواك، فإن لم تتجاوز عنه بحلمك، وتغفر له بفضلك، وتغمره بعطفك، وتشمله بلطفك، فمن يكون؟

إن له في قلبك الرقيق مطمع وفي نفسك الرحيمة منزع، ولن يعدوك إلى غيرك، فَجُد عليه بخيرك، فعن عياض بن حماد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط موفق، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**»[(١)].

وعن أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها**»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧٤٢) (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٦٤)

وهل يسرُّك أن يُعذِّبه الله من أجلك، ويعاقبه بسببك؟

وما وجه انتفاعك من عذابه؟

قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سببك؟!"[1].

تصوَّر حاله ومآله وهو واقف بين يدي ربِّه في خضوع وخنوع، وديوان أفعاله يتطاير، وميزان حسناته يطيش، وجوارحه تشهد عليه وتخبر بأفعاله وتنطق بأعماله، وإذا بخطيئته في حقِّك تحدد له المصير، فإلى أيّ الدارين يصير؟ هل يسرُّك أن يُساق للعذاب ويقاد للعقاب، وأنت تراه يجرُّ خطاه إلى الهاوية؟ يأبى عليك إيمانك أيُّها المؤمن، وتأبى عليك رحمتك أيُّها الرحيم.

فعن عمرو بن حبيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خاب عبد وخسر لم يجعل الله ـ تعالى في قلبه رحمةً للبشر»**[2].

(١٦٩١).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٢٦١).

(٢) أخرجه الدولابي وابن عساكر في تاريخ دمشق، انظر: السلسلة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تُنزَعُ الرَّحمةُ إلا مِن شقيٍّ»**[1].

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن لا يَرحم الناسَ لا يرحَمْهُ الله»**[2].

وعنه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **« لا يرحَمُ الله مَن لا يَرحم الناسَ»**[3].

وعن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنما يرحمُ الله من عباده الرُّحماء»**[4].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الراحمون يرحَمُهم الرحمنُ، ارحموا من في الأرضِ يرحمكم من في السَّماءِ»**[5].

الصحيحة (١/ ٧٤٠) (٤٥٦).

(١) صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٨٠) (١٥٦٨).

(٢)صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٨٠) (١٥٦٧).

(٣) صحيح البخاري (٨/ ٥٢٠) (٧٣٧٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (١/ ٤٦٩) (٢٣٨١)، وقال الألباني: حسن.

(٥)صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٣٣) (٤١٣٢).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم**، قالوا: كلنا يرحم، قال: **ليس برحمة أحدكم صاحبه، يرحم الناس كافة**»[1].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لن تؤمنوا حتَّى تراحموا**»، قالوا: يا رسول الله! كلُّنا رحيمٌ. قال: «**إنَّه ليس برحمةِ أحدكم صاحبَهُ، ولكنَّها رحمةُ العامَّة**»[2].

وقيل لعمرو بن عُبيد: لقد وَقع فيك اليومَ أيّوب السِّخْتِياني حتى رَحِمناك، قال: إياه فارحموا[3].

قال إبراهيم بن يزيد بن شريك التميمي: إن الرجل ليظلمني فأرحمه[4].

---

(١) أخرجه الحافظ العراقي في الأمالي، وابن المبارك في الزهد، انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٧٠) (١٦٧).

(٢) رواه الطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤٨) (٢٢٥٣).

(٣) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ١٣٩) والعقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٩٨).

(٤) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٣/ ١٨٣) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٦١) والمحن لأبي العرب بن تميم التميمي (١/ ٢٢١).

قال رجل من قريش لرجل: إني مررت بقوم يشتمونك شتمًا رحمتك منه، قال: فسمعتني أقول إلا خيرًا؟! قال: إياهم فارحم.

إنّي وَهَبْت لظالِمي ظُلْمي
وغفرْتُ ذاك له على عِلم

ورأيتُه أسدَى إليَّ يدًا
لما أبان بجَهْله حِلْمي

رَجَعَتْ إساءتُه عليه وإحسـ
ـساني إليَّ مُضاعَف الغُنْم

وغَدْوتُ ذا أَجْرٍ ومَحْمدةٍ
وغداَ بكَسْب الظلم والإثْمْ

وكأنما الإحسانُ كان له
وأنا المُسيء إليه في الحُكْم

ما زال يَظْلمني وأَرْحَمه
حتى رَثيتُ له من الظُّلْم[1]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب لعبداللطيف السعيد (٢/ ٤) الإشراف في

فإن أبيت، فلا أملك لك من الله شيئًا، أأملك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟!



منازل الأشراف لأبي بكر القرشي (١/ ١٤٥) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٨١) لمحمود بن الحسن الوَرَّاق.

وأيُّ شيءٍ في الانتقام؟

عندما تُخاصم أخاك المسلم، فأنت تدور بين ثلاثة أحوال؛ فإما أن تكون مُحِقًّا أو مُبطلاً أو خلطت عملاً صالحًا وآخر سيئًا!

فاحتمال وقوعك في الباطل ممكن، فليس كُلّ من يرى الحقَّ معه هو ـ في الحقيقة ـ مع حقٍّ، فكم من نفس دعت صاحبها للخصومة في شيء من الحق وأرته نصف الكأس الفارغ، فلم ير سوى نصف الحقيقة، وكم من إنسان لا يرى الأشياء إلا من ثقب إبرة، قد زويت له الخصومة في بعض زواياها، وربما جعلت أطماعه على عينه مثل الغشاوة فلا يكاد يرى أو يسمع إلا ما تُمليه عليه نفسه الأمارة بالسوء أو شيطانه المريد.

فالمؤمن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطلٍ، وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له[1].

---

(١) نثر الدر للآبي (١/ ٧٤).

ويترك الكثير من حقِّه حتى لا يقع في القليل من حقِّ غيره، طلبًا للنجاة من أهوال المحاسبة والمعاقبة في يوم الحسرة والتغابن.

ورأينا مرارًا من ندم على خصومة وتحسَّر على إيقاع عقوبة، «فما انتقم أحد لنفسه إلا ذل»[1]، ولم نر من تندَّم على عفو، فالخطأ في هذا ليس كالخطأ في تلك.

قال جعفر بن محمد: لأن أندم على العفو أحب إلي من أن أندم على العقوبة[2].

وقال جعفر الصادق: لأن أندم على العفو عشرين مرة أحب إلي من أن أندم على العقوبة مرة واحدة[3].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (٢/ ٣١٩).

(٢) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (١/ ٢٢٩) بهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر القرطبي النمري (١/ ٨٠) الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لمحمد بن حبيش (١/ ١٤٠) أدب المجالس لأبي عمر القرطبي النمري (١/ ١١٦).

(٣) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٢١٨).

فإن كنت ترجو في العقوبة راحةً

فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر[1]

ولا يستوي في ذهن عاقل أن يتماثل من يسامح ومن يقاتل، فلا تكن ومن فعل السوء سواء!

إذا جاريـــت في خـــلقٍ دنيئًـــا

فأنـــت ومـــن تجاريـــه ســـواء[2]

فإن كان مسيئًا فأحسن، وإن كان مخطئًا فأصب، وإن رأيت خللاً فسدَّه، أو عيبًا فاستره، أو عوجًا فقومه، أو خطأ فاغفره، فإنما أنت بأخيك، وهو بك، وأنتما لبعضكما كالمرآة، كُلٌّ منكما يرى نفسه في عين أخيه، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى، فعامله بما أنت أهله، فأنت للفضل أهل!

فهبني مسيئًا كالذي قلـت ظالـما

فعفوٌ جميل كي يكون لك الفضـل

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر القرطبي النمري (١/ ٨٠).
(٢) ديوان أبي تمام (٤/ ٢٩٦).



فإن لم أكن للعفو أهلاً لسوء ما

أتيت به جهلاً فأنت له أهل[١]

قال بعض البلغاء: أحسن المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر[٢].

هبني أسأت كما تقول

فأين عاطفة الأخوة؟

أو إن أسأتَ كما أسأتُ

فأين فضلك والمروءة؟[٣]

فدع عنك الخصومات، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، ولا تجلب لك إلا حزنًا، ولا تسوقك إلا للخسائر.

قال أعرابي: دع مصارمة أخيك وإن حثا التراب في فيك[٤].

فإنكما ـ وما تملكان ـ إلى تراب!

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر القرطبي النمري (١/ ٨٠).
(٢) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٣١٠).
(٣) آداب الصحبة لعبدالرحمن السلمي (١/ ٩٩) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن الشنتريني (٨/ ٥٢٨).
(٤) الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (١/ ٧).

هل وقعت في الأسر؟

لا يزال الناس بخير ما تغافروا، ولا يزال المجتمع متماسكًا ما تناصروا، وما استرقَّ بعضهم بعضًا بمثل الإحسان المتبادل والمعروف المتباذل!

وما قَتَلَ الأحرارَ كالعفو عنهم
ومن لك بالحرِّ الذي يحفظُ اليدا؟![1].

قال بعض الحكماء: الإحسان رقٌّ، والمكافأة عتق[2].

وليست أيادي الناس عندي غنيمة
وربَّ يد عندي أشدّ من الأسر[3]

وإنّك إن أردت استرقاق المسيء إليك، فلن يكون ذلك بأفضل من أن تُحسن إليه وتجود بفضلك عليه، فإن الخصومة

---

(١) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١ / ٢٠٢) والبيت للأبي الطيب المتنبي.
(٢) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٢٣٣).
(٣) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٢٣٣) والبيت لأبي العتاهية.

تفتّت القلوب بين الحنايا حتى تغدو كالشظايا، وكالفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينًا، وكالزجاج المتبعثر كسره لا يجبر.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

وكن على الدهر مِعوانًا لذي أمل
يرجو نداك فإن الحر مِعوان

من جاد بالمال مالَ الناس قاطبةً
إليه والمال للإنسان فتّان

من كان للخير منّاعًا فليس له
عند الخليقة إخوان وأخدان

وإن أساء مُسيءٌ فليكن لك
في عرض زلته صفحٌ وغُفرانُ[1]

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٢٨/ ٤٧) إعلام الناس بما وقع للبرامكة لدياب الأتليدي (١/ ١١٨) حياة الحيوان الكبرى للكمال الدميري (١/ ١٦٦) جواهر الأدب لأحمد الهاشمي (٢/ ٣٢) والبيت لأبي الفتح البستي.

إنك لن تسع الناس بمالك أو جمالك ولا بحسبك أو نسبك، ولا بسلطانك أو مكانك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**»[1].

فلن تسعهم إلا بحسن الخلق، وبسط الوجه، وتوطئة الكنف، وجميل المعاشرة، وكريم الصحبة، وعلى قدر ما تتجاوز عن الهفوات وتقيل من العثرات، وتبذل المعروف، وتبسط الكف، تدوم مودّتك، ويأنس الناس بك، ويعلو قدرك، وتشرف منزلتك، ولا عجب، فأهل المعروف معروفون به في الدارين.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة**»[2].

---

(١) رواه أبو يعلى والبزار، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٩) (٢٦٦١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الجامع (٢/ ٧٠٧) (٣٧٩٥).

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صدقة السرِّ تُطفئ غضبَ الربِّ، وصلة الرَّحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء**»[1].

اصنع الخير ما استطعت إلى الناس
وإن كـنت لا تحـيط بكلّـه

فمتى تصنع الكثير مـن الخـير
إذا كـنت تاركًـا لأقلّـه؟[2]

قال الأحنف بن قيس: ما ادَّخرت الآباء للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء، شيئًا أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب والآداب[3].

فالمعروف بين الخلق يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، وفعل السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل، والذي تعوَّد بسط الكفِّ يعجزه كفُّ الأصابع!

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط، والحاكم، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٣٥) (١٩٠٨).
(٢) آداب الصحبة لعبدالرحمن السلمي (١/ ٩٩).
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ٦٥).

عن أبي اليقظان قال: أخذ عبيدالله بن زياد عروة بن أدية، أخا أبي بلال، وقطع يده ورجله وصلبه على باب داره. فقال لأهله وهو مصلوب: انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي، فأحسنوا إليهم فإنهم أضيافكم[1].

والزمان قُلَّب، والأيَّام دوَّارة، والأحوال لا تثبت على حال، فغني اليوم؛ فقير الغد، ومستغني الماضي؛ محتاج الزمن الآتي، فاحمد الله الذي جعل حاجة الناس عندك ـ وهي العفو عن المظالم والصفح عن الجرائم ـ ولم يجعل حاجتك عند الناس، فإن ألجأهم الله إليك وأغلقت أبوابك في وجوههم ألجأك الله إليهم، ولكن... وأبوابهم مغلقة في وجهك!

فعن عمرو بن مرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من إمامٍ يُغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلَّة والمسكنة إلا أغلقَ الله أبوابَ السماء دون خلَّته وحاجته ومسكنته**»[2].

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن ولِيَ**

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ٦٥).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٦) (١٠٧١).

من أمر الناسِ شيئًا، فاحتجبَ عن أُولي الضعفِ والحاجةِ؛ احتجبَ الله عنه يومَ القيامةِ»[1].

عن أبي الشمّاخ الأزدي عن ابن عمٍّ له من أصحاب النبي ﷺ: أنه أتى معاوية رضي الله عنه فدخل عليه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من ولي أمرَ الناسِ، ثم أغلق بابَهُ دون المسكين والمظلوم وذي الحاجة؛ أغلق الله ـ تبارك وتعالى ـ أبوابَ رحمتِه دون حاجته وفقره؛ أفقر ما يكون إليها»**[2].

ومن المعروف أن المعروف في ذوي الرحم خير ثوابًا وخير عُقبا، وأن التقصير معهم ليس كالتقصير مع غيرهم، فعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما مِن ذي رَحم يأتي ذا رَحِمِهِ، فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه، فيبخل عليه؛ إلا أخرج اللهُ له من جهنم حيّةً يقال لها: شجاعٌ يَتَلَمَّظُ، فيُطوَّقُ به»**[3].

(١) رواه أحمد في المسند، والطبراني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٢٧) (٢٢٠٩).

(٢) رواه أحمد، وأبو يعلى، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٢٨) (٢٢١٠).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط والكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٦ ـ

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيُّما رجلٍ أتاه ابن عمه يسأله من فضله، فمنعه؛ منعه الله فضله يوم القيامة**»[1].



١/ ١٠٤) (٢٥٤٨).

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٣٦) (٨٩٧).

فمن يجادل الله عنك يوم القيامة؟

ليس عيبًا أن يخاصم الإنسان من أجل حقِّه، فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع، والكلُّ لا بدَّ أن يذِلَّ له ويخضع، ولكنَّ الحالقة أن يُطالب الإنسان بحقِّ غيره، ولا يؤدِّي الذي عليه من حقوق الناس، ويجرُّه لسانه الناطق وبيانه البليغ إلى التعدي على حقوق غيره، فبعض الكلام أشدُّ فتكًا من ضرب الحسام، وحدُّ اللسان أمضى من حدِّ السِّنان، فلا تغرُّك ركاكة تعبير خصمك وعِيُّ كلامه وحصر لسانه وسوء تعبيره وضعف تأثيره في الوقوع في ظلمه وهضم حقِّه، ولا يجرُّك لسانك الفصيح إلى الفعل القبيح، فإنه لن يغني عنك من الله شيئًا إن أوقعك في إثم أو جرَّك لظلم.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: «**إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم،**

فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها»[1].

وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّكم تختصِمونَ إليَّ، ولعلَّ بعضَكُم أن يكونَ ألحنَ بحُجَّته من بعضٍ، فأقضي له على نحوٍ ممَّا أسمعُ منه، فمن قطعتُ لهُ من حقِّ أخيه شيئًا، فلا يأخُذهُ، فإنما أقطعُ له به قطعة من النارِ»**[2].

ولا تخرج من دائرة الخصام على الجزء إلى دائرة الخصام على الكل، فليس الذي بينك وبين خصمك يشمل كلّ ما في حياتكما، فلماذا يذهب القليل من الاختلاف بكثير من الائتلاف؟ ولماذا تأذن للشيطان أن يجرُّك من لسانك إلى الوقوع في عرض خصمك؟ فربما تحت تأثير الغضب منه والسخط عليه تقول فيه ما ليس فيه وتعيبه بما هو منه براء، أو تغتابه وتبهته وتفضح عيوبه وتعيره بذنوبه، وتهتك ستر الله عليه، وتفضحه فوق رؤوس الأشهاد.

فعن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حَمى مؤمنًا من منافق بعث الله ملكًا يحمي لحمه يوم**

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٤٥٩) (٧١٨١).
(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٠٨٧) (١٧١٣).

القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلمًا بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»[1].

وعن عبدالله بن عمر ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن حالت شفاعتُهُ دون حدٍّ من حُدُودِ الله فقد ضادَّ الله، ومن خاصمَ في باطلٍ وهو يعلَمُهُ لم يزل في سخطِ الله حتى ينزعَ عنه، ومن قال في مُؤمن ما ليس فيه أسكنهُ الله ردغَةَ الخبال حتى يخرج مما قال»[2]

وعنه ﵄ عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن حالَت شفاعتُه دونَ حدٍّ من حدودِ الله؛ فقد ضادَّ الله في أمره، ومَن ماتَ وعليه دَينٌ فليسَ ثمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، ولكنَّها الحسناتُ والسيئاتُ، ومن خاصَم في باطلٍ وهو يعلمُ لم يزَل في سَخَط الله حتَّى يَنزِعَ، ومن قالَ في مؤمِنٍ ما ليسَ فيه حُبِسَ في رَدغَةِ الخَبالِ، حتَّى يأتيَ بالمخرَجِ مِمَّا قالَ»[3]

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٤) (٤٠٨٦).
(٢) صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٨٦) (٣٠٦٦).
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥٣) (١٨٠٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خمس ليس لهن كفارة؛ الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت المؤمن، والفرار من الزحف، ويمين صابرة يقطع بها مالاً بغير حق**»[1]

فلماذا تخرج عن حدِّ المختلف فيه إلى التشنيع الفظيع بأخيك المسلم الذي لا يختلف معك فيه اثنان بحرمة عرضه مهما كان خلافك معه وبغضك له؟

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**»[2]

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المُسلمُ أخو المُسلمِ، لا يخُونُهُ، ولا يَكذِبُهُ، ولا يَخذُلُهُ، كلُّ المُسلمِ على المُسلمِ حرامٌ؛ عِرضُهُ ومالُه ودَمُهُ، التقوى هَاهُنا ـ وأشار إلى القلب ـ بحسبِ امرئٍ مِن الشَّرِّ أن يحتَقِرَ أخاهُ المُسلمَ**»[3]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، انظر: صحيح الجامع (١/ ٦١٧) (٣٢٤٨).
(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٥٦٤) (٢٥٦٤).
(٣) صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٨٠) (١٥٧٢).

وكثيرًا ما تطيش الخصومة بألباب أهلها، وتذهب بعقول ذويها لتخرجهم من دائرة المعقول والمقبول إلى دائرة المرفوض والمبغوض، فلا يقتصر على قدر الحاجة في الخصومة، بل يظهر اللدد واللجاجة على قصد التسلّط والإفحام والإيذاء والإيلام، وعين السخط تنظر من زاوية داكنة، وتلمح الأشياء من خلال نظّارة سوداء، فهي تعمى عن الفضائل وتضخم الرذائل وتزين المنكر والباطل.

و لست براء عيب ذي الودّ كـلـه
ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيـا

فعين الرضا عن كل عيب كليلـة
كما أن عين السخط تبدي المساويا[١]

ومن أكثر الخصومات وقع في الإثم[٢].

قال محمد بن علي بن الحسين: الخصومة تمحق الدين وتثبت الشحناء في صدور الرجال[٣].

---

(١) الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (٤/ ٤٦٥) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١ / ٢٨٣) وتروى الأبيات لعبد الله بن معاوية الجعفري.
(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (٣/ ٢٢٨).
(٣) الآداب الشرعية لابن رجب الحنبلي (١/ ٢٣).

وقال بعضهم: إياك والخصومة فإنها تمحق الدين، ويقال: ما خاصم ورع قط في الدين، وقال ابن قتيبة: مر بي بشر بن عبدالله بن أبي بكرة، فقال: ما يجلسك ههنا؟ قلت: خصومة بيني وبين ابن عم لي. فقال: إن لأبيك عندي يدًا، وإني أريد أن أجزيك بها، وإني والله ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة. قال: فقمت لأنصرف، فقال لي خصمي: مالك؟ قلت: لا أخاصمك. قال: إنك عرفت أن الحق لي، قلت: لا، ولكن أكرم نفسي عن هذا. قال: فإني لا أطلب منك شيئا، هو لك[1].

هؤلاء هم أهل التقى الذين يصدفون عن الخصومة ما أمكنهم البعد عنها ـ ولو كان الحق معهم ـ لأنها توغر الصدر، وتهيج القلب، وتورث الحقد، وتخرج إلى تناول العرض بالقدح والجرح، ولا يحملون الحقد القديم في قلوبهم، ولا يفجرون في خصوماتهم، ولا يستغلون وفاء الأمس في تكثير كدر جفاء اليوم، ولا يغتنمون معلومتهم السابقة في ضرب

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٣/ ١١٩).

إخوانهم في خصوماتهم الماحقة، ولا يبيحون سرًّا لأصدقاء الماضي عند التقاضي، ولا يعرفون طريق الغمز من طرف خفي، ولا يسلكون دروب اللمز والخلق الدنيء، ولا يشينون ألسنتهم بالوقوع في اللفظ البذيء، ولا يصرمون وُدًّا لأقل الخصومات، ولا ينقلب الأصحاب في ميزانهم إلى أعداء مهما بلغت ضراوة الخصومة وشدة أصحابها.

أما أهل البغي فيفجرون في خصوماتهم، ويظلمون أنفسهم قبل غيرهم، ولا يرقبون في إخوانهم إلاًّ ولا ذِمَّة، ولا يصونون لهم كرامة أو حُرمة، ويوردون أنفسهم موارد السوء والهلكات، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»**[1].



(١) صحيح مسلم (١/ ٧٧) (٥٨).

من المنتصر؟ ومن المنكسر؟

هل الانتصار الحقيقي في المخاصمة أو في المصالحة؟

وهل العزُّ في المراغمة أو في المسامحة؟

وهل الشرف في الملحمة أو في المرحمة!

سيأتيك من يهتف في مسمعك ـ بوشوشة الشياطين ـ ليقذف في روعك: لا تسامح أو تصالح، فتلك هزيمة منكرة، وخسارة ظاهرة، وانكسار مُزرٍ، واندحار مخزٍ، فبضعفك يتطاول الناس عليك، وبلينك يتجرأ الهمج الرعاع عليك، فيقلِّبون لك الأمور، ويبدِّلون في موازينك الأشياء، وتلك ـ لو تتأمل ـ فتوى شيطانية ليصدَّك عن الحق، ويحرمك من الخير، ويحول بينك وبين مراضي الرب، ولعلي أقذف في قلبك الطيب بالفتوى النبوية من خير البرية ﷺ في مثل هذه القضية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عِزًّا، وما تواضعَ أحدٌ لله إلا رفعَهُ الله**»[1].

---

(١)صحيح مسلم (٤/ ١٥٨٨) (٢٥٨٨).

وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاث أقسِمُ عليهنَّ، وأحدِّثكُم حديثًا فاحفظوه. ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلَمةً صبرَ عليها إلا زادهُ الله عِزًّا، ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتحَ الله عليه بابَ فقرٍ..**»[1].

فالعفو عِزٌّ في الدنيا والآخرة، فإنه ما انتقم أحد قَطُّ لنفسه إلاّ أورثَه ذلك ذُلاًّ يجده في نفسه، فإذا عَفا أعزَّه الله ـ تعالى، فالعزّ الحاصل له بالعفو أحبّ إليه وأنفع له من العزّ الحاصل له بالانتقام، فإنّ هذا عِزٌّ في الظاهر، وهو يُورِث في الباطن ذُلاًّ، والعفوُ ذُلٌّ في الباطن، وهو يورث العزَّ باطنًا وظاهرًا[2].

ولو كان الانتقام عزًّا واستيفاء الحقِّ مغنمًا لكان أعزُّ الناس شأنًا وأرفعهم مكانًا ﷺ أوَّل من يحرص عليه ويسابق إليه، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما خُيِّر رسولُ الله ﷺ بين أمرين قطُّ إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٧٠) (١٨٩٤) وصحيح سنن ابن ماجه (٢/) (٤٢٢٨).

(٢) جامع المسائل لابن تيمية ـ عزير شمس (١/ ١٧٠).

كان أبعد النَّاسِ منهُ، وما انتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسهِ في شيءٍ قطُّ إلا أن تُنتهكَ حُرمةُ الله فينتقِمَ بها لله»[1].

صفوح عن الإجرام حتى كأنه
من العفو لم يعرف من الناس مجرمًا

وليس يبالي أن يكون به الأذى
إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما[2]

وأشرف الشرف وأعِزُّ ما في العزِّ ما يكون من غنيمة عظيمة في مقاعد الصدق ومدارج الكرامة في يوم القيامة لمن ترك الخصومة لله ـ تعالى ـ ولو كان مُحقًّا.

قال الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا العافون عن الناس، وتلا قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ...﴾ [الشورى: ٤٠][3].

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ١٣٢) (٦١٢٦).
(٢) الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لمحمد بن حبيش (١/ ١٤٢).
(٣) التذكرة الحمدونية لابن حمدون (١/ ٤٥٣).

وأخزى الخزي وأذلُّ الذلّ ما يكون من فضيحة مُضرَّة ومهانة مُرَّة في يوم الندم والحسرة لمن خاصم في باطل أو حرص على إيقاع الذّلّ والمهانة بالمسلم، فعن المستورد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من أكل بمسلم أكلةً؛ فإن اللهَ يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسيَ برجل مسلم، فإن الله عز وجل يكسوه من جهنم، ومن قام برجل مسلم مقام رياءٍ وسمعة؛ فإن الله يقوم به مقام رياء وسمعة يوم القيامة**»[1].

ولو لم يكن من الغبن إلا فوات الأجر والحرمان من الثواب، لكان كافيًا لعض أصابع الندم وقرع سِنِّ التحسُّر!

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من رجلٍ يُجرحُ في جسدهِ جِراحةً، فيتصدَّقُ بها، إلاَّ كفَّر الله عنه مثلَ ما تصدَّقَ بهِ**»[2].

وعن رجلٍ من الصحابة رضي الله عنهم عن النبيِ صلى الله عليه وسلم قال: «مَن

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٣) (٤٠٨٤).
(٢) أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٤٣) (٢٢٧٣).

أُصيبَ بشيءٍ في جسده، فتركَهُ لله ﷺ كان كفَّارةً له»[1].

وكذلك مظالم المال والعرض وغيرهما، فليس عند الله شيء في الميزان بالمجَّان!



---

(١) رواه أحمد، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٤٠) (٢٤٦١).

لماذا تكثر الخصومات بين القرابات؟

لا يشكُّ عاقل أو يُماري مجادل بأن الخصومة مذمومة بين عموم المسلمين لما تسببه بينهم من عداوة وبغضاء وتدابر وتهاجر، فكيف بها إذا وقعت بين القرابات وذوي الأرحام؟!

هنالك تغدو كالعاصفة القاصفة تضرب قلوب ضحاياها بالريح الهوجاء لتحيل السعادة إلى شقاء، والصفاء إلى عناء، والمحبة إلى بغضاء، والوصال إلى جفاء، فتقطع الصلات بين القرابات، وينال الباغي حظه من اللعنة والطرد من رحمة الله - تعالى - ويبوء بخسران عظيم!

قال الله - تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٣].

فإذا قطعه الله فمن يصلُه، وإذا أبعده فمن يدنيه، وإذا توعَّده بالحرمان من الجنان، فمن يملك أن يعِدُه بها أو يدنيه منها أو يمنِّيه بدخولها؟!

فعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك**. قال رسول الله ﷺ: **فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**»[2].

وعنه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم**»[3].

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته**»[4].

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٦) (٥٩٨٤) صحيح مسلم (٨/ ٧) (٦٦٨٤).
(٢) صحيح البخاري (٨/ ٦) (٥٩٨٧).
(٣) رواه أحمد في المسند، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٩) (٢٥٣٨).
(٤) صحيح البخاري (٨/ ٧) (٥٩٨٨).

وإذا كنّا نهيب بأهل القلوب السليمة والنفوس المستقيمة والذين يرجون لقاء الله أن يغفروا للذين لا يرجون أيّام الله ممن أساؤوا إليهم أو تعدّوا عليهم طلبًا للأجر العظيم من الرِّب الكريم، فإننا نادي إيمان من خالط الإيمان بشاشة قلبه، ونستنهض العطف المكنون بين حناياه، ونستلهم الكرم الفيّاض الذي يسري في أوردته؛ أن يغض الطرف عن هفوات قرابته، ويتجاوز عن أذى ذوي رحمه، طلبًا للأجر المضاعف والثواب الجزيل.

قال الله ـ تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا۟ ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾**﴾ [الرعد: ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[1].

(١) صحيح البخاري (٨/ ٦) (٥٩٨٥) صحيح مسلم (٨/ ٨) (٦٦٨٧).

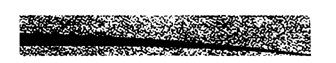
وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله! أخبرني بما يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ فقال النبي ﷺ: «**لقد وفق**» أو قال: «**لقد هدي، كيف قلت**»؟ فأعاد الرجل، فقال النبي ﷺ: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك**»، فلما أدبر قال النبي ﷺ: «**إن تمسك بما أمرته به دخل الجنة**»[(١)].

ولا يكون الوصل بالمكافأة بالمثل والمجازاة بردود الفعل، وإنما بالإحسان لمن أساء، والوصل لمن قطع، والحلم على من جهل، فعن عبدالله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال ﷺ: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٣٣).
(٢) صحيح البخاري (٨/ ٧) (٥٩٩١).
(٣) صحيح مسلم (٨/ ٨) (٦٦٨٩).



فتجرَّع علقم الصبر لتغنم وافر الأجر، وعض بالنواجذ على ألم الهجر، واكظم الغيظ وكف الغضب وادفن في خبايا القلب موجبات القهر، والعقبى لك، فما ضعف الناس عن أدائه، قوي الله على جزائه!



هل أنت من الكرماء؟

هل رأيت بخيلاً شحيحًا يجود بالخير على الغير؟ ذلك لن يكون، فقد تعوَّد أن يجمع ويمنع، ويُعدِّد ويُوصِد، فالداخل في حرزه مفقود، والخارج من كنزه مولود، ونفسه الشحيحة ستقف له بالمرصاد لو أراد أن يخرج عن زمامها أو يتفلَّت عليها ويأتي بما لم تتعوّد عليه.

وأقبح البخل ما كان في زمان الإمكان، ووقت الجودة، وأوان القدرة، ويعظم قُبحه في أعين النُّظار إذا كان على ذي حاجة واضطرار، ويزيد قبحًا إلى قُبحه إذا كان لا يكلِّف الباذل عناء كبيرًا أو يتطلَّب بذلاً كثيرًا أو وقتًا طويلاً.

والشح بالمعروف سواء كان بالمال أو الجاه أو العفو أو الدعاء أو غير ذلك من وجوه الخير دليل ضعف الإيمان وقلَّة الدين ورِقَّة اليقين، فعن أبي هريرة ﷺ عن رسولِ الله ﷺ: «**لا يجتمعُ غُبارٌ في سبيل الله، ودُخانُ جهنَّم في جوف عبدٍ أبدًا، ولا يجتمعُ الشُّحُ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبدًا**»[1].

(١) صحيح سنن النسائي (٢/ ٦٥٢) (٢٩١٣).

وعن قرة بن إياس ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ فذكُر عنده الحياءُ، فقالوا: يا رسول الله! الحياءُ من الدِّين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بل الدِّينُ كلُّه**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن الحياءَ والعفافَ والعيَّ ـ عيَّ اللسان، لا عيَّ القلبِ ـ والفقهَ من الإيمانِ، وإنهن يزدنَ في الآخرةِ، وينقُصنَ من الدنيا، وما يَزِدنَ في الآخرةِ أكثرُ مما يَنقُصنَ من الدنيا. وإنَّ الشُّحَّ والعجزَ والبذاء من النفاق، وإنهن يَزِدنَ في الدنيا، وينقصنَ من الآخرة، وما يَنقُصنَ من الآخرةِ أكثر مما يَزِدنَ من الدنيا**»[1].

وهو من أذم الخلائق وأنكر الطرائق، وسبب لكثير من الشحناء بين الناس، وبذرة شرٍّ تُستنبتُ في أرضهم لتثمر الصراع والنزاع فيما بينهم، وسبيل للأذى والمعاداة والهلاك لهم، فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **واتَّقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهلكَ من كان قبلَكُم، حَمَلَهُم على أن سَفكوا دماءَهم، واستحلُّوا محَارِمَهم**»[2].

---

(١) رواه الطبراني، وأبو الشيخ في الثواب، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٥) (٢٦٣٠).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٥٨٤) (٢٥٧٨).

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ مهلكاتٌ، وثلاثٌ منجياتٌ، فقال: ثلاثٌ مهلكاتٌ: شحٌّ مطاع، وهوىً مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرء بنفسِه. وثلاثٌ منجياتٌ: خشيةُ الله في السرِّ والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضبِ والرِّضا»**[1].

وإنَّ أشرَّ ما في الإنسان أن يكون شحيحًا بالمعروف، بخيلاً بصنائع الخير، ضنينًا بأفعال البِّر، فلا يُرجى خيره، ولا يؤمن شرُّه، ولا يُرى شجره، ولا يجتنى ثمره، ولا يفتح قصره، ولا يُستسقى بئره، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«شرُّ ما في رجلٍ؛ شحٌّ هالع، وجبنٌ خالع»**[2].

قال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، وإنما الشح أن يطمع في ما ليس له. ولهذا قال ابن المبارك: سخاء النفس بما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل[3].

---

(١) أخرجه البزار، والعقيلي، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٤١٢) (١٨٠٢).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢/ ٤٧٧) (٢١٩٢).

(٣) سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي (١/ ٧٧).

وقد كان عبدالرحمن بن عوف يكثر في طوافه بالبيت وبالوقوف بعرفة أن يقول: اللهم قني شح نفسي، فسئل عن ذلك؟ فقال: إذا وقيت شح نفسي؛ وقيت الظلم والبخل والقطيعة[1].

ونفوس الناس قد جُبلت على محبَّة الكرام والتعلّق بهم والميل إليهم، فلهم عند الخلق القدح المعلَّى، والقِطف المُدلَّى، والسهم الرابح، والنجم الواضح.

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: سادات الناس في الدنيا الأسخياء[2].

ويظهر عيب المرء في الناس بخله
ويستره عنهم جميعًا سخاؤه

تغط بأثواب السخاء فإنني
أرى كل عيب والسخاء غطاؤه[3]

فلا يسامح إلا سخي، ولا يعفو إلا كريم، ولا يصفح إلا

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٥٨٩).
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ٦٤).
(٣) المنهج المسلوك في سياسة الملوك للشنتري (١/ ٣٧٧).

جواد، ولا يغفر إلا معطاء، فإنه لا يُحلب من ضرع العجفاء، ولا يُستسقى من القربة الجوفاء، والطير في السماء لا تدنو من الأرض الجدباء، والبطون الجائعة لا تطرق بيوت البخلاء، والنفوس الكريمة لا ترضى بالمقام في دار الخلاء، وهذه ـ وأيم الله! ـ قِسمة عادلة، فمن جاد بالعطاء نال الحبَّ والولاء، والفداء، والجزاء، والدعاء، وتلك منازل السعداء!

ومن يبخل فقد أحلَّ نفسه سوء المنزل؛ ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ﴾ [محمد ٣٨]!!



لماذا لا يصعد عملك؟

إن مهمة الإنسان في الحياة الدنيا التي خُلق من أجلها ووجد لتحقيقها وسيسأل عنها؛ أن يستكثر من العمل الصالح قبل أن ينتهي زمن المُهلة ويحين وقت النُّقلة، فيتزود من ممرِّه إلى مقرِّه، ومن دنياه لأخراه، ومما يفنى وينفد إلى ما يبقى ويخلُد، والحصيف اللبيب منهم من يجعل كلّ ساعةٍ في طاعة، وكلّ لحظة من حياته زادًا ليوم وفاته، فيخرج من الدنيا الدنيَّة وقد جمع منها أفضل ما فيها من الطاعات والأعمال الصالحات.

وتصوَّر حال من عمل الصالحات وفرَّغ لها نفسه وأفنى بها وقته وأمضى فيها حياته ليسترضي بها الله، ثم إذا بأعماله الصالحة لا ترتفع فوق تُرقوته، ولا تعلو لمولاه، ويُحال بينها وبين صعودها لله، فيتساءل في حيرة ويستفهم في عجب: وما السبب؟

فيأتيه الجواب كفلق الفجر: إن الشحناء التي بينك وبين خصمك حالت بينك وبين المغفرة وحرمتك من صعود

عملك لربِّك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تُفتحُ أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكلِ عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناءُ، فيقال: أَنظِروا هذين حتى يصطلحا**»[1].

وعنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم الاثنين والخميس، فقيل: يا رسول الله! إنك تصوم الاثنين والخميس؟ فقال: «**إن يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا مهتجرين، يقول: دعهما حتى يصطلحا**»[2].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**»[3].

وعن كثير بن مرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**في ليلة النصف من**

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٥٧٧) (٢٥٦٥).
(٢) رواه ابن ماجه، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٥١) (١٠٤٢).
(٣) رواه الطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه والبيهقي، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٣) (٢٧٦٧).

شعبان يغفر الله ﷻ لأهل الأرض إلا مشرك أو مشاحن»[1].

فهل أنت مستعدٌّ أن تُحرم من مغفرة الله لأنّك لم تغفر لمن أخطأوا في حقِّك؟ وأن يُحبس عملك فلا يرقى لربِّك بسبب غضبك على أخيك وهجرك له؟

إنه ثمن غالٍ وقيمة باهظة!



(١) رواه البيهقي، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤) (٢٧٧٠).

ألا تحافظ عليهم؟!

ليس الإنجاز أن تصنع ألف خليل في عام واحد، ولكنه في المحافظة على الخليل الواحد ألف عام، فما أسرع ما نخسر الأحباب!

قال خالد بن صفوان: إن أعجز الناس من قصّر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم[1].

إن الكثير من الخصومات تقع بين الناس نتيجة الاستعجال في إصدار الأحكام على الغير دون تثبُّت وروِيَّة، وبغير تحقُّق من أصول ومسبِّبات القضيَّة، فإذا سُكِب اللبن في التراب استحال على الناس جمعه في إهاب، وإذا جاس الفأس في الرأس استعصت دروب السلامة، وإذا وقعت الخصومة مع أوَّل معلومة فالرجوع إلى الحال الأوّل من

---

(١) الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (١/ ٧) أدب الدنيا والدين لابن الماوردي (١/ ٢٠١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٢/ ١٨٠) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (١/ ٢٨٠) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١/ ٢٤٥) الموشى لأبي الطيب الوشاء (١/ ٨).

المحال إلا في بعض الأحوال، فنثار النفوس كنثار الزجاج، وجراح القلوب لا تُداوى إلا بعد ليٍّ ولِجاج، والمنهج الشرعي ينادي في آذان الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، ولكن أكثر الناس لا يفعلون!.

وهذا من تلبيس إبليس الذي يُسارع إلى إيقاد النار مع أوَّل قبس الشرر، ثم يتكئ على أريكته لينفخ في جذوة الشرِّ، ويحرق الناس بالبؤس والضُّرِّ، وهم لا يشعرون!.

وكُلُّ سُرعةٍ مذمومة لعاقبتها المشؤومة إلا في شأن الآخرة، فعن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة**»[١].

وعن عبدالله بن سرجس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**التؤدة، والاقتصاد، والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة**»[٢].

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩١٣) (٤٠٢٥).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، انظر: صحيح الجامع (١/ ٥٧٨) (٤٠٢٥).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**التأني من الله، والعجلة من الشيطان**»[1].

ولعاقل أن يعجب معي إلى سرعتنا في إصدار الأحكام الخاطئة والانفعالات المتشنِّجة والتصرفات المتعسفة، وإنَّ مِنّا لمن يبطِّئن في الاعتراف بخطئه والتراجع عن ظلمه، والرجوع إلى الحقِّ، وإبداء الأسف ممن تجاوز في حقِّهم، فلماذا الكيل بالمكيالين، والتعامل بالوجهين، ولماذا نرضى لغيرنا بأبخس الحظّين وأوكس النصيبين، ألا إنها قسمة ضيزي!



(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده، والبيهقي في سننه، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٤٠٤) (١٧٩٥).

هل أصابك داء الأمم؟

لقد أخبر النبي ﷺ بأن الأمم التي سادت ثم بادت اشتركت في داءٍ دويٍّ ومرض عصيٍّ، وتتابعت فيه اللاحقة بالسابقة، فهو ميراث الأجداد للأحفاد والآباء للأبناء، ودبَّ هذا المرض العضال في جسد أُمَّة الإسلام لينخر في عودها ويفتَّ في عضُدها، وهو فساد ذات البين بين أعضائها، والبغضاء والكراهية التي نشبت كالسُّفود المنكود في قلوب أهلها، فغدو كنثار البعر، شذر مذر، بعد أن كانوا - في وحدتهم - ملء السمع والبصر!

فعن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **دَبَّ إليكم داءُ الأممِ قبلَكم؛ الحسدُ والبغضاءُ، هيَ الحالقةُ؛ لا أقولُ تحلقُ الشعرَ ولكن تحلقُ الدِّين**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيصيب أمتي داء الأمم**» فقالوا: يا رسول الله! وما داء الأمم؟ قال:

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٠٧) (٢٠٣٨).

«**الأشَر والبطَر، والتكاثر، والتناجش في الدنيا، والتباغض والتحاسد، حتى يكون البغي**»[1].

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إياكم وسوء ذات البين، فإنها الحالقة**»[2].

ولذلك جاء الوعيد الشديد من البشير النذير ﷺ لمن يسعى في تمزيق المسلمين وتفريق جمعهم وتشتيت شملهم ونشر بغضهم لبعضهم، فعن أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخياركم؟**»، قالوا: بلى، قال ﷺ: «**الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، أفلا أخبركم بشراركم؟**»، قالوا: بلى، قال ﷺ: «**المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون البرآء العنت**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أحبَّكم إليَّ؛ أحاسِنُكم أخلاقًا، الموَطَّؤونَ أكنافًا، الذين يَألفونَ ويُؤلَفون، وإنَّ أبغَضَكُم إليَّ؛ المشَّاؤونَ بالنميمةِ، المفَرِّقونَ**

(١) أخرجه الحاكم، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٩٦) (٦٨٠).
(٢) صحيح سنن الترمذي (٦/ ٨) (٢٥٠٨).
(٣) صحيح الأدب المفرد ـ ص (١٢٣) رقم (٢٤٦)، وقال الألباني: حسن.

بين الأحِبَّةِ؛ الملتمسونَ للبُرآءِ العيبَ»[1].

وأعظم الشرع في الأجر وأجزل الثواب لمن سعى في جمع شملهم ولمِّ شعثهم وتوحيد صفِّهم وزرع بذور الحبِّ بينهم بالإصلاح المفضي لنزع فتيل العداوات وإطفاء نار الخصومات، فقال الله ـ تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا أُنبِّئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؟**» قالوا: بلى، قال: « **إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة**»[2].

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا أدلُّك على صدقةٍ يحبُّ اللهُ موضِعَها؟ تصلحُ بين الناسِ، فإنها صدقةٌ يحبُّ الله موضعها**»[3].

---

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٣) (٢٦٥٨).
(٢) صحيح سنن أبي داود (٤١١١).
(٣) أخرجه الأصبهاني في الترغيب والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصدَّقَة إصلاحُ ذات البينِ**»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب رضي الله عنه: «**ألا أدلُّك على تجارة؟**» قال: بلى. قال: «**صِل بين الناسِ إذا تفاسدوا، وقرِّب بينهم إذا تباعدوا**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما عمِلَ ابن آدم شيئًا أفضلَ من الصلاةِ، وصلاحِ ذات البين، وخُلُقٍ حسنٍ**»[3].

فهل تسمح لداء الأمم أن يسري إليك ويجري فيك كجريان الماء في العود ليفسد عليك قلبك وصفاءك وراحتك؟

الصحيحة (٢٦٤٤) (٦/ ٢٩٨).

(١) رواه عبد بن حميد في المنتخب والبزار والطبراني في الكبير، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٦٣٩) (٦/ ٢٨٩).

(٢) رواه البزار، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٧٢) (٢٨١٨).

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ، انظر: السلسلة الصحيحة (١٤٤٨) (٣/ ٤٣٢).

لماذا نُقصِّر القصير؟

الحياة ـ مهما طالت ـ قصيرة، ومهما امتدَّت فإلى نهاية، ومهما طال عمرها فتمضي للزوال، فلماذا نقضيها في الهموم والغموم والأحزان والأكدار؟

لماذا نجعل هذه الفرصة الوحيدة لنا في الوجود ـ قبل يوم الخلود ـ مُرَّة كالعلقم، وموجعة كالجرح، وموحشة كالقفر، وممحلة كالفقر، ومحزنة كالفراق؟

لماذا نُقصِّرها ـ وهي القصيرة ـ بالآلام والأوجاع؟ ونملؤها بالمشكلات والمحن؟

أما مللنا من البكاء، وسئمنا من الشكوى، وضقنا ذرعًا بالدموع؟

لماذا لا نحيا بالحب، ونعيش بالصفاء، ونتعاشر بالتسامح، ونتعامل بالرحمة، ونتوافق بالإخاء؟

أليس لنا عقلٌ رشيد أو رأي سديد؟

إن الدنيا ـ على سعتها ـ تصبح كخرم إبرة في أعين

المتخاصمين، وتغدو عليهم ـ على رحابتها ـ أضيق من سمِّ الخياط.

صيِّر فؤادك للمحبوب منزلةً
سمّ الخياط مجالٌ للمحبين
ولا تسامح بغيضًا في مخاصمةٍ
فقلما تسع الدنيا بغيضين[1]

قال الأصمعي: دخلت على الخليل وهو جالس على حصير صغير، فأشار علي بالجلوس، فقلت: أضيق عليك، فقال: مه إن الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين، وإن شبرًا في شبر يسع متحابين[2].

صل من هويت وإن أبدى معاتبةً
فأطيب العيش وصل بين اثنين
واقطع حبائل خدنٍ لا تلائمه
فقلما تسع الدنيا بغيضين[3]

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبدالقادر البغدادي (١١/ ٧٨) من شعر أبي محمد غانم بن الوليد المالقي.
(٢) ربيع الأبرار لأبي القاسم الزمخشري (١/ ٦٨).
(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبدالقادر البغدادي

وقال الأثرم: دخل اليزيدي يومًا على الخليل بن أحمد وهو جالس على وسادة، فأوسع له وأجلسه معه، فقال له اليزيدي: أحسبني ضيقت عليك، فقال الخليل: ما ضاق موضع على اثنين متحابين، والدنيا لا تسع متباغضين[1].

إن الراحة في الدنيا لمن اعتاد مخاصمة أهلها عليها أبعد عليه مما بين المشرقين، والشقاء أقرب إليه مما بين العين والعين، وتغدو السعادة في حياته كالسراب الذي يغُرُّ من رآه، ويخلف ظن من رجاه، فمن عادة الأيام الانصرام، فلماذا نزول منها وما زالت مشكلاتنا فيها؟

تبًّا لطالب دنيا لا بقاء لها
كأنما هي في تصريفها حلم
صفاؤها كدر سرّاؤها ضرر
أمانها غدر أنوارها ظلم

(١١/ ٧٨) من قول ابن عبد ربه.

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٤/ ١٤٦) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦/ ١٨٤) إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين قفطي (٢/ ٤٤٤).

شـبابها هـرم راحاتهـا سـقم
لذاتهـا نـدم وجدانهـا عـدم
فخلّ عنها ولا تركن لزهرتهـا
فإنهـا نعـم في طيهـا نقـم
واعمل لدار نعيم لا نفـاد لـه
ولا يخاف بها موت ولا هـرم[1]

إن أغلى ما في الدنيا ـ بعد دينك ـ سعادتك، وأجمل ما في أيامك راحة بالك وصفاء عيشك، وأحلى ما في أيامك ولياليك سلامة صدرك وصفاء خاطرك، فلماذا تُفرِّط فيها من أجل صراع لا ينتهي ونزاع لن ينقضي وخصومات لا تأتي إليك إلا بما يُكدِّر عيشك، ويُضيّق صدرك، ويؤلم قلبك، ويذهب بسعادتك؟

ألا إنـما الدنيـا نضـارة أيكـة
إذا اخضرّ منها جانب جف جانب

(١) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٥٥).

هي الدار ما الآمـــال إلا فجائـــع
عليهـا وما اللـذات إلا مصـــائب
فكم سخنت بالأمس عـين قريـرة
وقرّت عيون دمعها الآن ســاكب
فلا تكتحـل عينـاك منهـا بعـبرة
على ذاهـب منهـا فإنـــك ذاهـب[1]

إن الذي يبحث عن الرِّيِّ في البحر لا يعود إلا بالعطش، والذي يبحث بين لهيب النار عن عود أخضر لا يعود إلا بحروق القلب قبل حروق الجسد، والذي يبحث عن الراحة والأنس في منازعة الناس وخصوماتهم لا يعود إلا بالهمِّ الدائم والغمِّ الملازم.

وأ`سـوأ النـاس تدبـيرًا لعاقبـــة
من أنفـق العمـر فيما ليـس ينفعـه[2]

---

(١) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١/ ٥٦) من قول أحمد بن عبد ربه صاحب العقد.

(٢) جواهر الأدب (٢ / ٦٣) نفح الطيب (٢ / ٤٨٩) والبيت لأبي

فلا يذهب عُمرك منك في الخصومات فإنه رأس مالك ووعاء عملك، وليس لهذا خلقك الله!

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز

عليه من الإنفاق في غـير واجـب[1]



الحسين بن جبير.

(١) حياة الحيوان الكبرى لأبي عثمان الجاحظ (٢ / ١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٤٣٤) والبيت لعمارة اليمني.

هل عضضت عليه بالنواجذ؟

مقتل الرجل بين لحييه، وهلاكه بين فكّيه، فاللسان مغراف القلب، ودليل العقل، وبرهان الخلق، فهو يُبين عن أخلاق المتخاصمين، ويظهر مستوى تربيتهم وقدر آدابهم، وتتَّضح الحقيقة الدقيقة للأخلاق في أبهى صورها حين الغضب وحال الخصام، فما أسهل التَّشدُّق بالمثاليات والتمنطق بالقيم والتظاهر بالمبادئ في حال الرضا والسرور، وما أصعبها في حال الغضب والنفور!

ولو لم يكن في الخصومة إلا أنها سبب في السبِّ والشتم، وسبيل للقدح والذَّم، لكان منفِّرًا منها ومُزهِّدًا فيها، فالشيطان يسكن في طرف اللسان العيَّاب، ويُعشعش بين أنياب الفم السَّبَّاب، فقلَّما سلمت خصومة من طعن ولعن، وهمز ولمز، وقدح وجرح، وافتراء وازدراء، وغيرها من فلتات اللسان، وليس المؤمن بالطعَّان اللعان.

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس

المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»[1].

إنّ القدح في الآخرين والذَّمَّ للمخالفين ثمرةٌ ذميمة وعاقبة أليمة للكثير من الخصومات، وربما كانت سببًا في الغيبة والنميمة والإفك والبهتان والوقوع في أشنع الموبقات وأبشع المهلكات، فما خاصم أحدٌ إلا ذمَّ إلا من رحم، وقليل ما هم!

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سِبابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[2].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**سباب المؤمن كالمشرف على هلكة**»[3].

وعن جابر بن سليم الجهمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتَّقِ الله! ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستقي، وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه، ودعه يكون وباله عليه،**

(١)صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٨٩) (١٦١٠).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٨٠) (٦٤).
(٣)أخرجه البزار، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٤٩٩) (١٨٧٨).

وأجره لك، ولا تسبنَّ أحدًا»[1].

فاخطم لسانك بزمام التقوى، واحبسه خلف شفتيك وحطه بسياج الخوف، وعض عليه بنواجذ الحذر، فكتابك منشور، وستراه بعينك في يوم البعث والنُّشور!



(١)أخرجه أحمد في المسند، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٤١٢) (٧٧٠).

أيُّهما أحبُّ إليك؟

أيُّهما أحبُّ إليك وأسرُّ لقلبك ـ عند خطئك على أخيك ـ أن يجازيك بالعقوبة أم يتجاوز عن خطئك ويغض الطرف عن خللك؟

لا أشك بأن ترفُّعه عن مجازاتك بمثل عملك سيرفعه عندك، وسيجعله ساكن قلبك، فلا شيء في الميزان كالإحسان... فإن لم يكن هو، فكن أنت!

إن أحبَّ العباد إلى الله ـ تعالى ـ أنفعهم لعباده، وأحبَّ العمل إلى الله ـ تعالى ـ إدخال السرور على المسلم، فيا له من سرور بالغ وفرحة غامرة يمكن أن تدخلها على أخيك المسلم إذا غضضت الطرف عن زلله، وصفحت عن خلله، وتجاوزت عن تجاوزه!

وأيُّ غنيمة عظيمة من الأجور الكريمة ستحوز عليها وتفوز بها إذا تركت من حقِّك لإرضاء ربِّك!

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الناس

إلى اللهّ أنفعهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله ﷺ سرورٌ تدخله على مسلمٍ، أو تكشفُ عنه كربةً.....»[١].

وعن ابن المنكدر ـ رحمه الله ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أفضلِ العملِ إدخالُ السُّرور على المؤمن، تقضي عنه دينًا، تقضي له حاجةً، تُنَفِّسُ له كربةً»**[٢].

ستقول حتمًا: ولماذا يبني سعادته على حساب شقائي، وراحته على عنائي؟ وما ذنبي أن أكون بئيسًا تعيسًا ليسعد، وحزينًا كئيبًا ليفرح؟

لماذا أتجرع العلقم ليكرع الحالي من عرضي ومالي؟

لماذا أتأسَّف على حقِّي الضائع وهو يتنعم به على مرأى من عيني ومسمع من أذني؟

لماذا أصطلي بنار الحسرة المرَّة في قلبي المظلوم ليفرح قلبه الظالم؟

---

(١)أخرجه الطبراني في الكبير، وابن عساكر في التاريخ، انظر: السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٠٨) (٩٠٦).

(٢)أخرجه البيهقي في الشعب انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٦٥) (٢٢٩١).

لماذا أحتسي مرارة الانكسار، وهو ينتشي بحلاوة الانتصار؟

أقول ـ وافتح مغاليق قلبك لما أقول ـ بأن فرح اليوم فرح زائل لا دوام له، فهو فرح لذّة عاجلة ونزوة زائلة ومتاع منقطع، وأنت موعود بفرح لا انقطاع له، يستمرُّ أبدًا سرمدًا، فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ستفرح أنت ـ بإذن الله ـ في دنياك بالخير الكثير الذي سيعوضك الله به من حيث لا تحتسب، فمن ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا، وستفرح به عند موتك فهو من زادك ليوم معادك، وستفرح به في قبرك، فإنه خير أنيس وجليس، وستفرح به في يوم بعثك ونشرك وأنت أحوج ما تكون إليه وأعظم ما تكون منتفعًا به، وستفرح به عندما ترتفع درجاتك في الجنة ـ إن شاء الله ـ فأيُّ الفرحتين تريد؟

ما يفنى وينفد أم ما يبقى ويخلد؟

ما تُخلفه وراء ظهرك أم ما تجده أمامك؟

ما تُسعد به أخاك في دنياه لتفرح به أنت في دنياك وأخراك،

أم ما يفرحك اليوم فرحًا عارضًا لتُمحِل منه غدًا أحوج ما تكون إليه وأعظم ما تكون راغبًا فيه؟!

الخيار إليك، والأمر بين يديك، واليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل!



أليس من ختام؟

وبعد:

أبعد هذا الكلام يمكن أن يستمر بيننا الخصام؟!

أيعقل أن نستمر في الاحتراق بالخصومات لتمضي معنا كظلِّنا إلى المات؟

فمتى إذًا تهدأ العاصفة وتسكن الريح وتنقشع الغيوم؟

متى تُسعد القلوب الحزينة وتهدأ النفوس الملتاعة وتستقر الأفئدة الموجوعة؟

أليس لهذا الليل السادر من آخر؟

إننا في حاجة إلى صرخة مدوِّية في مسمع الكون، لتسمع من كان حيًّا: كفى!

كفانا مشكلات.. كفانا فتن ومحن وإحن وخصومات!

كفانا عبثًا بأصابعنا الجائرة في جراحنا الغائرة، وتكديرًا للنفوس الثائرة، واستنباتًا للعداوات الحارقة، واستكثارًا

للخصومات القادمة، واستثارة للأحقاد القديمة، ففينا ما يكفينا، والواقع المرّ بما فيه من ألم يشهد علينا!

مـنَ اليـومِ تعارفنـا
وَنَطْـوي ما جَـرَى مِنّـا

ولا كـانَ ولا صـارَ
ولا قلتـمْ ولا قلنـا

وَإنْ كـانَ وَلا بُـدٌّ
مـن العـتبِ فبالحسـنى

فقـد قيـلَ لنـا عنكـم
كـما قيـلَ لكـمْ عَنّـا

كفـى ما كـانَ مـن هجـرٍ
وقـد ذُقتُـمْ وَقـد ذُقْنَـا

وما أحْـسَنَ أنْ نَـرْجِـعَ
للوصـلِ كـما كنـا[1]

(١) بهاء الدين زهير.

إننا في حاجة مُلحَّة إلى غسل قلوبنا من أدرانها كما نغسل وجوهنا في كلِّ حين من الأوساخ، واهتمام بطهارتها من النجاسات كما نهتم بأقدامنا من الوقوع فيها، وحرص على نظافتها كحرصنا على نظافة ثيابنا من الأقذار والأكدار، وعناية بسلامتها من الأمراض والأوضار كحرصنا على سلامة أفنيتنا من القاذورات، فهل قلوبنا أهون علينا من أقدامنا ونعالنا وساحات بيوتنا؟!

هذه نفثة مصدور، وزفرة مكظوم، وأَنَّة موجوع، وصرخة مفجوع..

فواقعنا يوحي بسوء ما نحن فيه من تهاجر وتقاطع، وخصومات ومواجع، ولا بُدَّ لليل الحزن أن ينجلي بصبح الفرح والسرور، والمحبة واللحمة، فما عاد في القلب موضع خالٍ لجرح جديد!

لقد أثخنّا الجراح بما فيه الكفاية، وشرب الشيطان من دماء الضحايا حتّى ارتوى، وأنهكتنا الخصومات بما لا مزيد عليه، فهل آن لنا أن نرقع الخرق، ونسدَّ الثلمة، ونداوي الجراح؟!

أو أننا سنمضي هكذا في خصوماتنا لا نلوي على شيء لننتظر الزمان الآتي في أدبار الدنيا ونهاية الحياة وخواتيم الكون حيث الحياة مع الحيَّات والوجود مع الأسود؟!

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**طُوبى لعيشٍ بعد المسيح! طوبى لعيش بعد المسيح! يُؤذَنُ للسماء في القطر، ويُؤذَنُ للأرض في النبات، فلو بذرتَ حَبَّك على الصفا لنَبَتَ، ولا تَشاحَّ ولا تحاسد ولا تباغض، حتى يَمُرَّ الرجلُ على الأسد ولا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاحَّ ولا تحاسد ولا تباغض**»[1].

هذا ما جاد به المداد، وطاش به الفؤاد، ونمَّ به القلم، وفاض به الألم، أبعثه مع بريد الحبِّ فوق جناح المودَّة لكلِّ قلبٍ حيٍّ ونفسٍ زكيَّة...

وعذرًا على قسوة المبضع، ولذعة الكيِّ، وشرطة الحجَّام، وصرخة النذير العريان، فعذري إلى أحبتي سابق، وما أردت إلا إيقاظ الضمائر الحيَّة ولو بالكيَّة!

---

(١) رواه أبو بكر الأنباري في حديثه والديلمي، انظر: السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٥٩) (١٩٢٦).

حبيبك من يغار إذا زللتا
ويغلظ في الكلام متى أسأتا

يسر إن اتصفت بكل فضل
ويحزن إن نقصت أو انتقصتا

ومن لا يكثرث بك لا يبالي
أحدت عن الصواب أم اعتدلتا[1]

ولي في جودكم مطمع وفي صفحكم منزع بأن تغفروا الزلَّة وتصلحوا الخلَّة وترحموا العلَّة، فإن كان ذلك كذلك فذلك ما كُنَّا نبغي، ومن الله التمام، وإلا فيا حسرة الكاتب بما كتب، فقد غدا أوَّل ضحايا الخصام، والسلام ختام!

ـ تم بحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البريّات.

وكتب
راجي عفو ربِّه
عبداللطيف بن هاجس الغامدي

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للتلمساني (٥/ ٥٥١) والأبيات لأبي عثمان التجيبي.

الفهرس

المقدمة ٥

أليس فيهم رجلٌ رشيد؟! ١١

أيُّ الاثنين أنت؟! ١٦

هل وقيت عرضك؟ ٢٢

لمن تركنا العفو والصفح؟ ٢٦

أليس لصحتك قيمة عندك؟ ٢٩

هل خلقك الله من أجل هذا؟ ٣٢

هل يكون بيدك الزمام؟ ٣٧

هل أغظت من حرَّضك؟ ٤٣

ما قولك في غد؟ ٤٨

لماذا نرابي في أخطائنا؟ ٥١

هل أنت ظالم؟ ٥٨

هل الدنيا تساوي نكدك؟ ٦٤

هل تعرف عظمة خصمك؟ ٦٨
من أين تبدأ المعركة؟........................ ٧٠
أليس أمر الأمَّة مما يُهمّك؟ ٧٦
لماذا تكثر بينهم؟........................ ٧٩
من أنت غدًا؟ ٨٢
هل تخطبها دون مهر؟ ٨٧
هل نخلق مجتمع الرحمة؟........................ ٩١
هلاَّ أرخيت رأسك!........................ ٩٤
هل ذقت هذه اللذة؟........................ ٩٨
لماذا ننسى الفضل بيننا؟!........................ ١٠٢
هل فتّشت في نفسك؟ ١٠٧
أين حسن الظن بالمؤمن؟! ١١٢
إلى متى الحزن؟........................ ١١٥
لماذا تنكر اللسع منها؟ ١١٨
هل لابد من العداء؟........................ ١٢٥

أليس لك في المداراة مخرج؟ ١٣٢
هل حاسبت نفسك؟ ١٤٠
إذا وجدت الله، فماذا فقدت؟ ١٤٦
هل وضعت نفسك في مكانه! ١٥١
ألا نختلف ونأتلف؟ ١٥٦
أليس فيك عيب؟ ١٦٢
أليس له في الخير محملٌ؟ ١٦٨
أين القلوب الرحيمة؟ ١٧٣
وأيُّ شيء في الانتقام؟ ١٧٩
هل وقعت في الأسر؟ ١٨٣
فمن يجادل الله عنك يوم القيامة؟ ١٩٠
من المنتصر؟ ومن المنكسر؟ ١٩٧
لماذا تكثر الخصومات بين القرابات؟ ٢٠٢
هل أنت من الكرماء؟ ٢٠٧
لماذا لا يصعد عملك؟ ٢١٢

ألا تحافظ عليهم؟! ٢١٥

هل أصابك داء الأمم؟ ٢١٨

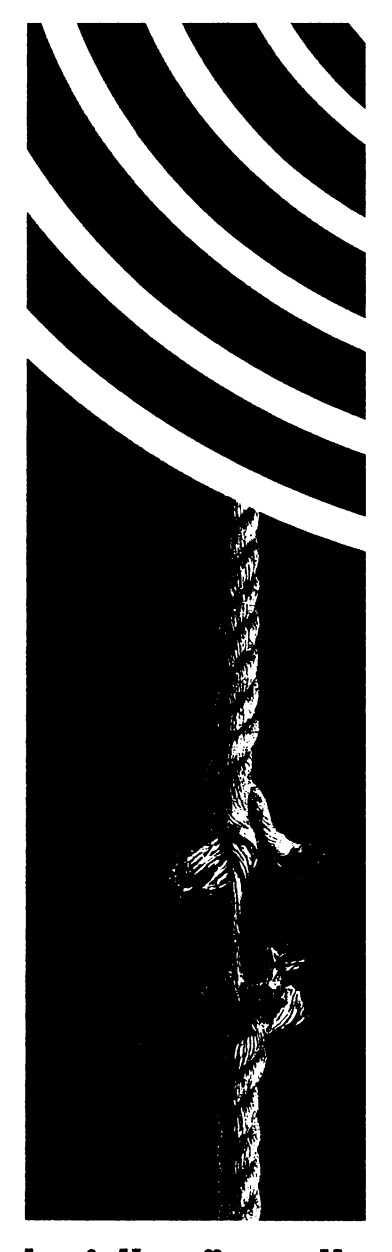
لماذا نُقصِّر القصير؟ ٢٢٢

هل عضضت عليه بالنواجذ؟ ٢٢٨

أيُّهما أحبُّ إليك؟ ٢٣١

أليس من ختام؟ ٢٣٥





إلى متى الخصام؟

